الفصل الرابع

الخصائص الفنية لمظاهر التوكيد في الجامع الصحيح للترمذي

ويشتمل على أربعة مباحث

المبحث الأول: الخصائص الفنية لمؤكدات الجملة الاسمية.

المبحث الثاني: الخصائص الفنية لمؤكدات الجملة الفعلية.

المبحث الثالث: الخصائص الفنية لمؤكدات بعض الجملة.

المبحث الرابع: الخصائص الفنية للتوكيد بغير أداة.

الفصل الرابع

الخصائص الفنية لمظاهر التوكيد في الجامع الصحيح للترمذي

تقديم:

بعد هذه الدراسة لأساليب التوكيد في بيان النبي ﷺ في الجامع الصحيح للترمذي التي حاولت فيها ـ قدر الطاقة ـ أن أُبيِّن الدور الفاعل لأساليب التوكيد التي قصد إليها النبي ﷺ في مقامات متنوعة حسب ما تم عرضه فيما سبق تبيَّن لي أن التوكيد في أحاديث هذا الكتاب الجامع يتميز بكثير من الخصائص أشرت إلى بعضها أثناء الدراسة السابقة، وهنا أعرض تفصيلاً لهذه الخصائص كي يقف القارئ على حقيقة التوكيد وسماته البلاغية، وخصائصه الفنية، التي يتميز بها في أحاديث النبي ﷺ في صحيح الترمذي.

وذلك من خلال دراسة قمت فيها بالحصر لعدد ورود كل مؤكِّد بعد تصنيفها كما يلي:

مؤكدات الجملة الاسمية، مؤكدات الجملة الفعلية، مؤكدات بعض الجملة، التأكيد بغير أداة ويشمل: التأكيد في علم المعاني، التأكيد في علم البيان، التأكيد في علم البديع، وسائل التوكيد الفعلية، التأكيد بإيراد الدليل تصعيداً لدرجة التوثيق.

مع بيان وجه دلالة أدوات التوكيد وصِيَغه على تحقيق المعنى المراد وتقريره في النفس، والمقامات التي كثرت فيها وكذا التي قلَّ ورودها فيها، ومدى مناسبة التوكيد بالأداة، أو الصيغة للمقام الذي وردت فيه.

وبيان ذلك فيما يلي من عرض لمباحث هذا الفصل:

المبحث الأول

الخصائص الفنية لمؤكدات الجملة الإسمية في الجامع الصحيح للترمذي

المبحث الأول

الخصائص الفنية لمؤكدات الجملة الإسمية في الجامع الصحيح للترمذي

أولاً : إنَّ مكسورة الهمزة مشددة النون:

إنَّ تفيد توكيد المعنى وتقريره مع تحقيقها الإيجاز ومن ثم فهي أكثر أدوات التوكيد استعمالاً في العربية بوجه عام، ومَن يطالع أحاديث النبي ﷺ في صحيح الإمام الترمذي يسترعي انتباهه ويلفت نظره شيوع التعبير بها وتكرر ذكرها مع اختلاف مقاماتها والأغراض الداعية إليها وذلك نظراً لتحقيقها تأكيد نسبة المسند للمسند إليه ونفي الشك عنها أو الإنكار لها في إيجاز بديع يأسر عقل السامع ويشغل فكره.

ومقامات التوكيد بإنَّ كثيرة ومتعددة حسب ما سبق بيانه خلال التحليل للأحاديث المشتملة عليها وغيرها من أدوات التوكيد وطرقه فليس ثَمَّة مبحث من مباحث الدراسة السابقة يخلو من حديث أُكِّد معناه بإنَّ، بل إن ذكرها قد تكرر في بعض الأحاديث تلبية لداعي الحاجة إليها ومع تكررها يزداد المعنى قوة فضلاً عما تضفيه على الكلام من ألوان اللطف والدقة.

ولإيضاح أهمية التوكيد بإنَّ وكثرة القصد إليها وشيوع التوكيد بها في أحاديث الجامع الصحيح للترمذي مما يُعد ظاهرة من ظواهر التوكيد في هذا الكتاب الجامع أذكر أنه بعد الدراسة والإحصاء تبيَّن لي ورودها فيه بغرض التوكيد (ثمانمائة وإحدى وسبعين مرة) موزعة كما يلي حسب مقامات ورودها :

أولاً : في مقام الحديث عن العبادات ورد التوكيد بها (مائتين وستاً وأربعين مرة) ومن ذلك قوله ﷺ :

(إِنَّ صَلَاةَ الرَّجُلِ فِي الجَمَاعَةِ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ وَحْدَهُ بِخَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءاً)[1]

ثانياً : في مقام الحديث عن العادات ورد التوكيد بها (ثلاثمائة وثماني عشرة مرة) ومن ذلك قوله ﷺ:

(تَهَادَوا فَإِنّ الهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ)[2]

---

(١) ينظر : ص ٤٢ من البحث.

(٢) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الولاء والهبة، باب في حث النبي ﷺ على التهادي رقم ٢١٣٠.

ثالثاً : في مقام الحديث عن الغيبيات ورد التوكيد بها (ثلاثمائة وسبع مرات) ومن ذلك قوله ﷺ

(إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي طَيْرٍ خُضْرٍ تَعْلُقُ مِنْ ثَمَرِ الجَنَّةِ أَوْ شَجَرِ الجَنَّةِ)[1]

هذا : مع تفاوت مرات التأكيد بإنَّ كثرة وقلة في موضوعات المقامات الثلاثة الرئيسة السابقة حسب الحاجة والداعي لذلك.

وأرى أن السبب في كثرة التأكيد بإنَّ في مقام الحديث عن العادات هو كثرة عادات الناس من جهة، ومن جهة أخرى رغبة النبي ﷺ في لفت انتباه السامع إلى أهمية العادة المراد تأكيدها بمؤكِّد يتسم بالإيجاز والقوة، ويضفي على الخبر المؤكَّد بها كثيراً من معاني اللطف والدقة مما يترتب عليه تمكينه في نفس السامع وحمله بألطف وجه على الإذعان للمأمور به أو المنهي عنه مما أُكِّد بإنَّ ــ خاصة ــ نظراً لتحقيقها مضمون الجملة الاسمية، وتقرير النسبة بين جزأيها، ونفي الشك فيها والإنكار لها، وذلك بحسب العلم بالنسبة بين الجزأين والتردد فيها والإنكار لها.

ومن يتتبع مواقع "إنَّ" ثم يُلطف النظر ويُكثر التدبر يعلم عِلم ضرورة أن ليس سواء دخولها وأن لا تدخل وذلك على حد قول الإمام عبد القاهر[2].

وأعجب مواقع "إنَّ" وألطفها أنك ترى الجملة إذا هي دخلت عليها ترتبط بما قبلها، وتأتلف معه وتتحد حتى كأن الكلامين قد أُفرغا إفراغاً واحداً، وكأن أحدهما قد سُبك في الآخر[3].

وتحقيق "إنَّ" الربط بين الكلامين ظاهرة شائعة في أحاديث الجامع الصحيح للترمذي، سبق أن أشرت إليها[4] ويتحقق ذلك ــ خاصة ــ عندما تسبق الجملة المؤكَّدة بها بأمر أو نهي، وحينئذٍ يغلب اقترانها بالفاء، نجد ذلك في مثل قول النبي ﷺ :

(أَسْفِرُوا بِالفَجْرِ، فَإِنَّهُ أَعْظَمُ لِلأَجْرِ)[5]

---

(١) الجامع الصحيح للترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في ثواب الشهداء، رقم ١٦٤١.

(٢) ينظر : دلائل الإعجاز، ص ٣١٥.

(٣) ينظر: دلائل الإعجاز، ص ٣١٦.

(٤) ينظر: ص١٩٤من البحث.

(٥) الجامع الصحيح للترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في الإسفار بالفجر، رقم ١٥٤، ومعنى أسفروا بالفجر : أي صلوا صلاة الفجر إذا أضاء الفجر وأشرق. تحفة الأحوذي ٣٥٣/١، وأسفر الصبح: أضاء. لسان العرب، مادة [سفر].

وقوله ﷺ :

(لَا تَلِجُوا عَلَى المَغِيبَاتِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ أَحَدِكُمْ مَجْرَى الدَّمِ ...)[1]

والحاجة إلى "الفاء" تعظم في مثل هذا السياق من حيث دلالتها على ترتب سؤال السامع نفسه عن علة الأمر أو النهي وحدوثه فور سماعه أياً منهما فهي بمنزلة الإشارة من المتكلم إلى ما يطرأ على السامع للأمر أو النهي حينئذ من رغبة في معرفة العلة الباعثة على أي منهما وسؤاله عنها ـ في نفسه ـ سؤالاً مفاجئا دون سابق إعداد ومن ثم فما بعد الفاء جواب عن سؤال مقدر أُكد معناه بـ "إنَّ" نظرا لما تفيده من تحقيق الربط بين الكلامين جملة الأمر أو النهي وجملة البيان لكل منهما.

كما أن للفاء مزية أخرى وهي تقوية الربط بين الكلامين ـ كما هنا ـ وتوثيق صلة كل منهما بالآخر إذ يصبح الباعث على السؤال ـ الأمر أو النهي ـ والجواب كأنهما قد أُفرغا إفراغا واحدا وكأن أحدهما قد سُبك في الآخر.

فضلا عن ذلك فإن للتعبير بالفاء في مثل هذا السياق فائدة الدلالة ـ أيضا ـ على سرعة النبي ﷺ في إجابة ما قد يُثار في الأنفس من تساؤلات رغبة في تمكين المعنى المراد في نفس السامع وتقريره في ذهنه.

يقول الدكتور/ محمد أبو موسى:

"قد يجرى الكلام على خلاف الظاهر من حال المخاطب، أى أن المتكلم لا يعتد بهذا الواقع فى صياغته وإنما يجرى على أمور اعتبارية تنزيلية يلحظها هو ويعتبرها مقامات يصوغ عبارته على مقتضاها وذلك موطن دقيق لا يهتدى إلى مواقعه الشريفة إلا ذكى النفس، دقيق الحس، واسع الخيال،

فمن ذلك أن تكون الجملة أو الجمل السابقة متضمنة إشارات أو إيماءات تثير فى النفس المتلقية تساؤلا فتتبعها الجملة الثانية بما يزيل التردد، ويجيب عن هذا الهمس فيدخل قدرا من التوكيد فى بناء العبارة ليواجه هذا التردد ومن ذلك الجمل المؤكدة فى الكلام الفصيح والواقعة عقب الأمر والنهى والإرشاد"[2].

---

(١) الإمام مسلم في صحيحه كتاب الرضاع، باب ما جاء في كراهية الدخول إلى المغيبات، رقم ١١٧٢. والمغيبات: التي غاب بعلها أو أحد أهلها. لسان العرب، مادة [غيب].

(٢) خصائص التراكيب، صـ ٨٤.

وليس مطردا حصول الشك فيما يُخبر به النبي ﷺ أو الإنكار له ومع ذلك نلحظ تأكيده ما يخبر به ــ غالبا ــ بإنَّ منفردة، أو معها غيرها من أدوات التوكيد وطرقه ليكون ذلك بمنزلة سور أو سياج يحمي خبره ﷺ مما قد يواجه به فيما بعد زمانه نظرا لعلمه بما سيؤول إليه حال الناس فيما بعد.

ولقد أكد الإمام عبد القاهر ــ رحمه الله ــ هذا المعنى الخاص بالتأكيد والحاجة إليه في سياق حديثه عن "إنَّ" بقوله : (ينبغي أن يُعلم أنه كما يكون التأكيد للإنكار قد كان من السامع، فإنه يكون للإنكار يُعلم أو يُرى أنه يكون من السامعين وجملة الأمر أنك لا تقول : "إنَّه لكذلك حتى تريد أن تضع كلامك وضعَ من يَزَعُ فيه عن الإنكار.)[1]

ومن خصائص التوكيد بـ "إنَّ" في بيان النبي ﷺ في جامع الترمذي دخلوها على ضمير المؤكَّد نحو قوله ﷺ :

(يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ اعْقِدْنَ بِالأَنَامِلِ فَإِنَّهُنَ مَسْئُولَاتٌ مُسْتَنْطَقَاتٌ)[2]

فالتعبير بضمير المؤكَّد مقترنا بإنَّ غرضه المبالغة في تقرير اختصاصه بالمعنى المراد، وإفراده بما ذُكر مع ترسيخ إرادة التوثيق والتأكيد في ذهن السامع بما لا يدع له مجالا للشك أو الإنكار.

فضلا عن ذلك فإن تكرير المؤكَّد من خلال التعبير بضميره مقترنا بإنَّ يحقق قوة تنبيه السامع وإيقاظه مع تشوقه لمعرفة الخبر لكونه حينئذ من الأهمية بمكان ومن ثم يُوليه من الاهتمام ما به يحصل المراد من التوكيد لمضمونه والحث على العمل بما يقتضيه.

وقد لا يُصرَّح بلفظ المؤكَّد قبل "إنَّ" ومن ثم فالضمير المقترن بها حينئذ هو ضمير الشأن. وذلك نحو قوله ﷺ :

(يَا أُمَّ سَلَمَةَ لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّهُ مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ الوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا)[3]

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز، ص ٣٢٧.

(٢) الجامع الصحيح للترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد، رقم ٣٤٨٦. والمراد: الحث على التسبيح بالأنامل وأن ذلك أولى من السبحة والحصى والعلة مذكورة وهى أن الأنامل تشهد بذلك عند سؤالها ، ينظر تحفة الأحوذى ٥/٩.

(٣) الجامع الصحيح للترمذي، كتاب المناقب، باب من فضل عائشة رضي الله عنها، رقم ٣٨٨٨.

ولدخول "إنَّ" على ضمير الشأن فضل تحسين موقعه، وإكسابه من اللطف والدقة ما لا يُرى له إذا هي لم تدخل عليه، وذلك على حد قول الإمام عبد القاهر: "ومن خصائصها أنك ترى لضمير الأمر والشأن معهما من الحسن واللطف ما لا تراه إذا هي لم تدخل عليه، بل لا تراه يصلح حيث صلح إلا بها"[1]

فدخولها على ضمير الشأن يكسبه من الفخامة ما به يُصبح المعنى المراد أكثر تعلقاً في الذهن وأشد تمكناً في النفس.

(فإنَّ مع ضمير الشأن لا تخلو من التأكيد مع التحسين، ولا يخلو هو من تقرير المعنى المراد مع دلالته عليه، فإنه لعدم سبق مرجعه لكونه ضمير غيبة يكتنفه شيء من الإبهام حتى يُذكر المرجع فيحمل النفس على الانتباه والتشوق، فيجيء التفسير إشباعاً لظمأ النفس فيتقرر به المراد لاسيما وأن ضمير الشأن والشأن أمر واحد ذُكر بلفظين.)[2]

ثانياً : "أنَّ" مفتوحة الهمزة مشددة النون:

"أنَّ" مفتوحة الهمزة شقيقة المكسورة في كون مجراهما في التوكيد واحد.

ومع اتفاق الحرفين في إفادة التوكيد إلا أنهما يفترقان من جهة إفادة "أنَّ" المفتوحة تعلق ما بعدها بما قبلها فضلاً عن كونها عاملة ومعمولة ومن ثم لم تُصدَّر بها الجملة وإنما أُخِّرت للإيذان بتعلقها بما قبلها ومفارقتها "إنَّ" ومن ذلك قول النبي ﷺ :

(إِنِّي دَخَلْتُ الكَعْبَةَ وَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ فَعَلْتُ ...)[3]

وغير ذلك من الأمثلة التي تقرر القول بإفادة (أنَّ) المفتوحة مع التوكيد تعلق ما بعدها بما قبلها[4].

(١) دلائل الإعجاز، ص ٣١٧.

(٢) ينظر: الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، ص ١٠٢.

(٣) الجامع الصحيح للترمذي، كتاب الحج، باب ما جاء في دخول الكعبة، رقم ٨٧٣.

(٤) ينظر: الهمع ١٣٨/١ ــ شرح المفصل ٥٩/٨ ــ التوكيد في النحو العربي ص ١١٩. د/ المتولي على المتولي الأشرم، مكتبة جزيرة الورد. بالمنصورة.

وعن مقامات التوكيد بـ "أنَّ" المفتوحة في أحاديث الجامع الصحيح للترمذي وعدد ورودها في هذا الجامع فأذكر أنها بالمقارنة مع "إنَّ" المكسورة تُعد قليلة الورود نظراً لكون شواهدها تبلغ (مائة وثمانية وثلاثين شاهداً) موزعة كما يلي حسب مقامات ورودها :

(تسعة وأربعون شاهداً) في مقام حديث النبي ﷺ عن العبادات، ومن ذلك قوله ﷺ :

(الطَّوَافُ حَوْلَ البَيْتِ مِثْلُ الصَّلَاةِ إِلَّا أَنَّكُمْ تَتَكَلَّمُونَ فِيهِ ...)[1]

(وستة وثلاثون شاهداً) في مقام حديثه ﷺ عن العادات وما يتعلق بها من أمور حياتية ترتبط بالسلوك الإنساني ومن ذلك قوله ﷺ لمن قال له: يا رسول الله أرمي الصيد فأجد فيه من الغد سهمي ؟ قال :

(إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ سَهْمَكَ قَتَلَهُ وَلَمْ تَرَ فِيهِ أَثَرَ سَبُعٍ فَكُلْ)[2]

(وثلاثة وخمسون شاهداً) في مقام الحديث عن الغيب ومن ذلك قوله ﷺ :

(إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ لَوْ أَنَّ العَالَمِينَ اجْتَمَعُوا فِي إِحْدَاهُنَّ لَوَسِعَتْهُمْ)[3]

وبعد: فمن خصائص التوكيد بأنَّ فى أحاديث الجامع الصحيح للترمذى ما يلى:

أولاً: قلة ورودها بالنظر إلى سابقتها "إنَّ" مكسوة الهمزة، وذلك راجع إلى عدم صحة تصدرها جملة الكلام لكونها معمولة كما أنها عاملة، وكذا تعلقها بما قبلها.

ثانياً: تقارب الفرق بين عدد ورودها فى مقامات الحديث، وعدم شيوعها فى مقام دون آخر.

ثالثاً: كثرة مجيئها بعد "لو" الشرطية تنبيهاً على أهمية جملة الشرط، وتقريراً لدلالتها، والتأكيد على ترتب الجزاء على الشرط وتحقيق تعلقه به[4]. وذلك من شأنه زيادة تقرير المعنى وانسجام تركيب ألفاظه الدالة عليه.

فـ "أنَّ" مؤكِّد يكسب المعنى قوة ويُقرر إرادته في نفس السامع وهي ومثيلتها "إنَّ" مكسورة الهمزة أكثر مؤكدات الجملة الاسمية وروداً في الجامع الصحيح للترمذي نظراً للدور الذي يؤديانه، ومن ثم استحقتا أن يخصهما الإمام عبد القاهر ـ رحمه الله ـ بباب في كتابه

---

(١) ينظر: ص ٧٣ من البحث .

(٢) جامع الترمذي كتاب الصيد، باب ما جاء في الرجل يرمي الصيد فيغيب عنه، رقم (١٤٦٨).

(٣) السابق، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة درجات الجنة، رقم ٢٥٣٢.

(٤) ينظر: الإيضاح ٢/ ١٢٥.

(دلائل الإعجاز) تحدث فيه عن مواقعهما في الكلام، ولطفهما، وإكسابهما المعنى قوة وحسنا لا يتوافران له بدونهما[1].

ثالثاً : إنْ و أنْ المخففتان :

من مؤكّدات الجملة الاسمية (إنْ و أنْ) المخففتان من (إنّ و أنّ) وهما كأصلهما من حيث المعنى وهو التوكيد

وأما حكمهما من حيث العمل فتخالفان فيه المشددتين حيث يبطل عملهما، ومن العرب من يعملهما، ويقع بعدهما الاسم والفعل.

والفعل الواقع بعد المكسورة يجب أن يكون من الأفعال الداخلة على المبتدأ و الخبر، وجوَّز الكوفيون غيره، وتلزم المكسورة اللام في خبرها.

والمفتوحة يُعوَّض عما ذهب منها ويُفصل بينها وبين خبرها بأحد الأحرف الآتية : (قد أو السين، أو سوف، أو لو، أو إذا) في الإيجاب ، (ولا، أو لن، أو لم) في النفي[2].

وبالنسبة للتأكيد بـ (إنْ و أنْ) المخففتين في أحاديث الجامع الصحيح للترمذي فهو كما يلي:

أ) "إنْ" بكسر الهمزة وتخفيف النون :

ورد التأكيد بها في جامع الترمذي (سبع مرات فقط) أربع منها في مقام الحديث عن الغيب ومن ذلك قوله ﷺ :

(... رَحْمَةُ اللهِ عَلَى لُوطٍ إِنْ كَانَ لَيَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ...)[3]

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز، ص ٣١٥-٣٢٧ يشمل حديث الإمام عبدالقاهر فى الباب المراد (إنّ، وأنّ) على السواء بدليل عدم تفريقه فى إيراد الشواهد بين المكسورة والمفتوحة، كما أنه لم يخص المفتوحة الهمزة بحديث وحدها على اعتبار أن الكلام عن المكسورة يشملها. ينظر: إنما ومواقعها فى نظم القرآن الكريم. صـ٢٣.

(٢) ينظر: شرح المفصل ٨/٧١-٧٤ ، الهمع ١/٤٥١-٤٥٥ ، شرح التسهيل لابن مالك، ت: د/عبد الرحمن السيد، د/ محمد بدوي المختون، ٢/٣٣، ط.١، دار هجر، مصر، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ، شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري، ١/٢٣١-٢٣٣، وبهامشه حاشية الشيخ يس علية، طبعة الحلبي، القاهرة.

(٣) الجامع الصحيح للترمذي كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة يوسف، رقم ٣١١٦.

(وثلاث مرات فقط) في مقام الحديث عن العادات ومن ذلك قوله ﷺ :

(مَا كَانَ مِنْ فَزَعٍ وَإِنْ وَجَدْنَاهُ لَبَحْراً)[1]

فإنْ فيما سبق أُكِّد بها وهي غير عاملة وقد وَلِيَها فعل ماض ناسخ يقع بعده المبتدأ والخبر، وجاء خبرها مقترناً باللام للفرق بينها وبين (إنْ) النافية فيما لو قيل : (إنْ زيد قائم) إذ يحتمل أن يكون المراد (ما زيد قائم)

ومن ثم فالمعنى مع (إنْ) المخففة يكون أشد توثيقاً نظراً لكونه مؤكَّداً بمؤكِّدين (إنْ) و (اللام) الفارقة على القول بأنها لام الابتداء التي تكون مع المشددة[2].

ومجئ التوكيد بـ "إنْ" المخففة كما هو واضح قليل لذا لا أستطيع الحكم بأن التوكيد بها شاع فى مقام عن آخر، لكن من يتأمل أحاديث ورودها يلحظ أنها جاءت فى سياق التعليل، وربما لا يطلبه المخاطب إلا أن النبى -ﷺ- يكون بداخله حرص على توضيح أهمية المعنى المراد، ونقلها للمخاطبين، (فقد يؤكِّد المتكلم كلامه ناظراً لحال نفسه ومدى انفعاله بالحقائق التى يصورها فيحرص على إذاعتها ونقلها إلى النفوس كما أحسها) [3].

ب) "أنْ" بفتح الهمزة وتخفيف النون :

ورد التوكيد بأنْ المخففة في أحاديث الجامع الصحيح للترمذي (اثنتين وثلاثين مرة) موزعة حسب مقامات ورودها كما يلي :

(اثنتان وعشرون مرة) في مقام الحديث عن العبادات، ومن ذلك قوله ﷺ :

(..... أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ...)[4]

(ومرتان فقط) في مقام الحديث عن العادات، وهما قوله ﷺ :

---

(١) الجامع الصحيح للترمذي كتاب الجهاد، باب ما جاء في الخروج عند الفزع، رقم ١٦٨٥.

(٢) ينظر: شرح التصريح ٢٣٢/١ ، الهمع ٤٥١/١ ، ارتشاف الضرب من لسان العرب ، لأبي حيان الأندلسي، ت: د / مصطفى أحمد النحاس ١٤٩/٢، ط.١، مطبعة النسر الذهبي، القاهرة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤.

(٣) علم المعانى. د/ بسيونى عبدالفتاح فيود ٥١/١بتصرف، ط١، مكتبة وهبة.

(٤) الجامع الصحيح للترمذي، كتاب الطهارة، باب فيما يقال بعد الوضوء، رقم ٥٥.

(إِذَا ظَهَرَتِ الحَيَّةُ فِي المَسْكَنِ فَقُولُوا لَهَا : إِنَّا نَسْأَلُكِ بِعَهْدِ نُوحٍ وَبِعَهدِ سُلَيْمَانَ بنِ دَاوُدَ أَنْ لَا تُؤْذِينَا ...)[1]

وقوله ﷺ :

(مَنْ رَأَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيهِ فِي الخَلْقِ وَالرِّزْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ مِمَّنْ فُضِّل هُوَ عَلَيهِ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا يَزْدَرِي نِعْمَةَ اللهِ عَلَيهِ)[2]

(وست مرات فقط) في مقام الحديث عن الغيب، ومن ذلك قوله ﷺ :

(أُنْزِلَتِ المَائِدَةُ مِنَ السَّمَاءِ خُبْزاً وَلَحْماً وَأُمِرُوا أَنْ لَا يَخُونُوا وَلَا يَدَّخِرُوا لِغَدٍ فَخَانُوا وَادَّخَرُوا.....)[3]

فـ (أنْ) المخففة فيما سبق وردت مفيدة التأكيد لمعنى ما دخلت عليه، وهي في ذلك مثل أصلها (أنَّ) وإن كانت تخالفها بما تتسم به من خفة وإيجاز لا ينفكان عنها وما يفيده إيجازها من قوة التركيز وشدة لفت الانتباه إلى خبرها، ومن ثم كثر الإتيان بها في مقام الحديث عن أمور العبادات وخاصة منها ما يتعلق بالعقيدة وتوحيد الخالق ـ عز وجل.

هذا : ومبالغة في تقرير أمور العبادات لزم خبرها الإتيان في صورة الجملة الاسمية لإفادتها مزيد توكيد المعنى المراد وذلك في (أربعة عشر موضعاً) كما في الحديث الأول فيما سبق، واسمها لا يخلو من كونه ضمير الشأن محذوفاً مفسَّراً بما بعده من خبر وذلك مما يضاعف التركيز، ويُنشط الذهن، ويدعو إلى التفكر والتدبر فيركز المراد فيه ويثبت لديه.

رابعاً: لام الابتداء

لام الابتداء هى لام مفتوحة غير عاملة تدخل على الجملة الاسمية فتؤكد مضمونها، وتمنع ما قبلها أن يتخطاها إلى ما بعدها لكونها مستحقة صدر الكلام، وذلك نحو قوله -ﷺ-:

"لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ"[4].

---

(١) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الأحكام، باب ما جاء في قتل الحيات، رقم ١٤٨٥.

(٢) السابق، كتاب اللباس، باب ما جاء في ترقيع الثوب، رقم ١٧٨١.

(٣) السابق، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة، رقم ٣٠٦١.

(٤) ينظر: صـ ١٥٨ من البحث

ومن ثم زُحلقت عن صدر الجملة التى دخلت عليها "إنَّ" نحو قوله -ﷺ-:

"إِنَّ فِى المَالِ لَحَقًّا سِوَى الزَّكَاةِ[1].

لأنه لَما كانت اللام للتوكيد وإنَّ تفيد التوكيد كرهوا الجمع بين حرفين لمعنى واحد فقُدمت "إنَّ" لأنها عاملة، وزُحلقت "اللام" إلى الخبر لكونها غير عاملة وتقديم العامل أولى[2].

وعن التوكيد بلام الابتداء فى أحاديث النبى -ﷺ- فى الجامع الصحيح للترمذى، أذكر أنه ورد التوكيد بها (ستا وتسعين مرة) موزعة حسب مقامات ورودها كما يلى:

(أربع عشرة مرة) فى مقام الحديث عن العبادات، ومن ذلك قوله -ﷺ-:

"إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَتَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ"[3].

(وثمان وعشرون مرة) فى مقام الحديث عن العادات، ومن ذلك قوله -ﷺ-:

"إِنَّ المَرْأَةَ لَتَأْخُذُ لِلْقَوْمِ"يَعْنِى: تُجِيرُ[4].

(وأربع وخمسون مرة) فى مقام ا لحديث عن أمور الغيب، ومن ذلك قوله ﷺ:

"إِنَّ فِى الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِى ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ"[5].

فمما سبق يتضح لنا مدى حاجة الكلام المؤكَّد بلام الابتداء إليها وكونها فى سياقها تؤكد معنى ما دخلت عليه وتُكسبه قوة يركز بها فى نفس السامع، وتمنع الشك أو الإنكار من التسلل إليه، ومن ثم قدَّر البعض قبلها قَسَماً وقالوا: هى لام القسم وكأن تقدير قولهم: "لَزيدٌ قائمٌ" "واللهِ لَزيدٌ قائمٌ" فأُضمِر القسم ودلت اللام عليه،

وما ذلك إلا لكثرة أوجه التشابه بين اللامين-لام الابتداء، ولام القسم- فلام الابتداء مفتوحة كما أن لام القسم مفتوحة، ولام الابتداء تدخل على الجمل كما تدخل لام القسم ولام الابتداء مؤكِّدة مُحقِّقة كتحقيق لام القسم،

---

(١) الجامع الصحيح للترمذى كتاب الزكاة باب ما جاء أن فى المال حقاً سوى الزكاة رقم ٦٥٩.

(٢) ينظر اللامات للزجاجى، ت د/ مازن المبارك، صـ ٦٩، ٧٠ ط٢ دار صادر بيروت ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م- معانى الحروف، للرومانى صـ ٥١- شرح المفصل ٢٥/٩- ضياء السالك إلى أوضح المسالك ٢٨٩/١- ٢٩٢- مغنى اللبيب صـ ٣٠٠- البرهان ٤٠٨/٢.

(٣) الجامع الصحيح للترمذى كتاب الزكاة باب ما جاء فى فضل الصدقة رقم ٦٦٤.

(٤) السابق، كتاب السير، باب ما جاء فى أمان العبد والمرأة. رقم ١٥٧٩.

(٥) السابق، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء فى صفة شجر الجنة رقم ٢٥٢٣.

ولكن يفرق بينهما ويحدد المراد منهما سياق الكلام وطريقة صوغه ومعناه، وذلك أنه لا يقال: حنثت لمن قال "لَزيد قائم محققاً خبره إن كان زيد غير قائم فى حال كون اللام للابتداء ، ولكن إذا وقع بعدها المستقبل مقترناً بنون التوكيد الثقيلة أو الخفيفة فهى لام القسم ذُكر القسم قبلها أو أُضمر نحو لَأخرجنَّ ولَتَنْطلِقَنَّ يا زيد"[1].

وزيادة فى تقرير معنى ما دخلت عليه لام الابتداء أُكِّد بها مجتمعة مع إنَّ فى تسعة وسبعين موضعاً فى جامع الترمذى ولكل منهما دور فى التوكيد، واختصاص بمؤكِّد يهدف إلى تقريره "فإنَّ" حال اجتماعها مع اللام تكون لتوكيد معنى ما يليها واللام حينئذ مختصة بتحقيق معنى الخبر الداخلة عليه[2]. وذلك نحو قوله -ﷺ-:

"إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَخَافُ مِنْكَ يَا عُمَرُ"[3].

ومما تجدر الإشارة إليه أن لام الابتداء أُكِّد بها خبر "إنَّ" وهو فعل مضارع فى جامع الترمذى فى ثلاثة وخمسين موضعاً نحو قوله -ﷺ-:

"إِنَّ المَيِّتَ لَيُعَذَّبُ، وَإِنَّ أَهْلَهُ لَيَبْكُونَ عَلَيْهِ"[4].

وهى فى ذلك تفيد تخليص المضارع للحال[5] زيادة على تأكيد مدلوله، وأغلب ورودها كذلك فى مقام الحديث عن أمور الغيب حيث وردت كذلك (ثمانى وعشرين مرة) نظراً لما يفيده تلخيصها المضارع للحال فى هذا المقام خاصة من تصوير مشاهد الغيب وكأنها واقعة مشاهَدة للسامع وفى ذلك مزيد تمكين لها فى نفسه وترسيخ لدلالتها فى ذهنه.

خامساً: كأنَّ:

من مؤكِّدات الجملة الاسمية "كأنَّ" وهى حرف يفيد التشبيه والتوكيد وإنما تستعمل حيث يقوى الشبه حتى يكاد الرائى يشك فى أن المشبه هو المشبه به أو غيره، ولذلك قالت بلقيس فيما يحكيه القرآن الكريم "كَأَنَّهُ هُو"[6] مستعملة "كأنَّ" دون غيرها من أدوات التشبيه،

---

(١) ينظر: اللامات صـ٧٠ مغنى اللبيب صـ٣٠١، ٣٠٢.

(٢) ينظر: معانى الحروف، للرمانى صـ٥١ البرهان ٣٣٦/٤.

(٣) الجامع الصحيح للترمذى كتاب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب، رقم ٣٦٩٩.

(٤) السابق: كتاب الجنائز باب ما جاء فى الرخصة فى البكاء على الميت رقم ١٠٠٤.

(٥) ينظر: مغنى اللبيب صـ٣٠٠.

(٦) سورة النمل رقم (٤٢).

وعن التأكيد بـ "كأنَّ" فى أحاديث الجامع الصحيح للترمذى فقد أتى بها بغرض تقوية التشبيه وتوكيد معناه فى (تسعة وعشرين موضعاً) موزعة حسب مقامات ورودها والحاجة الداعية إليها كما يلى:

(تسع مرات) فى مقام الحديث عن العبادات ومن ذلك قوله -ﷺ:

"الَّذِى تَفُوتُهُ صَلاَةُ العَصْرِ فَكَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ"(١).

(ومرتان فقط) فى مقام الحديث عن العادات وهما قوله -ﷺ-

"مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِناً فِى سِرْبِهِ مُعَافَىً فِى جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا"(٢).

وقوله: "لَا تُبَاشِرُ المَرْأَةُ المَرْأَةَ حَتَّى تَصِفَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا"(٣).

(وثمان عشرة مرة) فى مقام الحديث عن الغيبيات ومن ذلك قوله -ﷺ-:

".....وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمَاً كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ(٤)."

فالمبالغة فى الدلالة على التشبيه مع كأن ملحوظة فيما سبق عرضه وغيره مما لم يتسع المقام لذكره، وذلك نظراً لكونها أبلغ من غيرها من أدوات التشبيه فى إقرار دلالته وترسيخها فى ذهن السامع إذ أنها تجعل المشبه يذوب فى جنس المشبه به ويمتزج معه كأنه من جنسه مبالغة فى الاتحاد ولذلك فهى تستعمل فى الأمور التى يقوى فيها الشبه .

وتعظم إرادة القائل بها فى تأكيد مراده، وإلزام السامع بتصديقه وحثه على الالتزام بما يوجِّه إليه من خلال التعبير المشتمل عليها، ومن ثم غلب استعمالها فى أحاديث الجامع الصحيح للترمذى فى مقام الحديث عن أمور الغيب -خاصة -لما يكتنفها من غرابة وخفاء قصد النبى -ﷺ- إلى مواجهتها بالتعبير بما يُقوِّى إرادة المعنى المعبَّر عنه حينئذ ، ويفيد المبالغة فى صدقه فكانت "كأنَّ" المركبة من كاف التشبيه و "أنَّ" المفيدة توكيد النسبة ونفى

---

(١) الجامع الصحيح للترمذى- كتاب الصلاة، باب ما جاء فى السهو عن وقت صلاة العصر. رقم ١٧٥.

(٢) السابق: كتاب الزهد باب فى التوكل على الله رقم ٢٣٤٦.

(٣) السابق: كتاب الأدب، باب فى كراهية مباشرة الرجل الرجل والمرأة المرأة رقم (٢٧٩٢).

(٤) السابق كتاب الفتن باب ما جاء فى قتال الترك رقم ٢٢١٥.

الشك عنها والإنكار لها ، إذ أن كل شواهد ورود "كأنّ" فى جامع الترمذى كانت فيها مشـــددة النون تقريراً للمبالغة المرادة ، وتوكيدا للمعنى المراد فى نفس السامع.

سادساً:- "لكن " بتشديد النون وتخفيفها :

لكن" حرف تأكيد واستدراك ولابد فيه من نفى وإثبات ، إن كان قبله نفـــى كـــان بعـــده إيجاب وإن كان قبله إيجاب كان بعده نفى "(١).

وقال السيوطى :" وقد ترد للتوكيد مجرداً عن الاستدراك قاله صاحب البســيط ، وفســر الاستدراك برفع ما يتوهم ثبوته نحو" ما زيد شجاعاً لكنه كريم" لأن الشجاعة والكرم لا يكادان يفترقان ، فنفى أحدهما يوهم نفى الآخر ، ومثل للتوكيد بنحو " لو جاءنى أكرمتـــه لكنـــه لـــم يجىء " فأكدت ما أفادته "لو" من الامتناع،

واختار ابن عصفور أنها لهما معاً، وهو المختار، كما أن "كأن للتشبيه المؤكَّد ولهذا قال بعضهم: إنها مركبة من (لكنْ وأنَّ) فطرحت الهمزة للتخفيف، ونون (لكن) للساكنين(٢).

وعن تأكيد الجملة الاسمية بها فى أحاديث الجامع الصحيح للترمذى فتبلغ شواهد ذلـــك (سبعة وثلاثين شاهداً) موزعة حسب مقامات الحديث الشريف كما يلى:

(تسعة شواهد) فى مقام الحديث عن العبادات ، ومن ذلك قوله -ﷺ- لِمَن أَهْدَى إِلَيـــهِ حِمَاراً وَحْشِيّاً وَهُوَ مُحْرِمٌ فردَّه عَلَيهِ ، فرَأى كَرَاهِيَةَ ذلكَ فِى وَجْهِهِ:

"إِنَّهُ لَيْسَ بِنَا رَدٌّ عَلَيْكَ وَلَكِنَّا حُرُمٌ "(٣).

وقوله : ﷺ

"لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُم فَانْفِرُوا" (٤).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن . للقرطبى ، ٢٠٤/١ ، طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٢م

(٢) الإتقان ٢٣١/٢،٢٣٢-وينظر : مغنى اللبيب صـ ٣٨٣،٣٨٤ -ضياء السالك ٢٧٣/١.

(٣) الجامع الصحيح للترمذى -كتاب الحج .باب ما جاء فى كراهية لحم الصيد للمحرم رقم ٨٤٩.

(٤)الجامع الصحيح للترمذى، كتاب السير ، باب ما جاء فى الهجرة رقم ١٥٩٠

(وثلاثة عشر شاهداً) فى مقام الحديث عن العادات ومن ذلك قوله -ﷺ- لمن سأله عن الثَّوم أحرام هو؟ فقال :

" لَا، وَلَكِنِّى أَكْرَهُهُ مِنْ أَجْلِ رِيحِهِ "(١).

(وخمسة عشر شاهداً) فى مقام الحديث عن الغيبيات ومن ذلك قوله- ﷺ عن حال السابقين مع الأحبار والرهبان:

" أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئاً اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِم شَيْئاً حَرَّمُوهُ" (٢).

وهكذا يتضح مما سبق عرضه من شواهد ما تفيده (لكن) من تقوية المعنى المراد وتقريره فى النفس ، وفضلاً عن ذلك تنبيهها السامع وإيقاظه نظراً لما يفيده الأسلوب المشتمل عليها، من المخالفة بين طرفيه بأن يثبت لما بعدها حكم مخالف لما قلبها ومن ثم قصد إليها النبى -ﷺ- وإن بدا استعمالها قليلاً خاصة فى مقام الحديث عن العبادات، ومرجع ذلك هو قيام التوجيه النبوى – غالباً- على أساس التصريح بالمراد مباشرة إمّا على سبيل الإثبات أو النفى مبالغة فى تحقيق المراد، وإقراره فى النفس خاصة فيما يتعلق بالعبادة .

ويلاحظ مما سبق عرضه من شواهد " لكن " فى جامع الترمذى أنى لم أفرق بين المثقَّلة والمخفَّفة فى الاستشهاد بل مزجت بينهما وما ذلك إلا لكون دلالتهما واحدة ، وإفادة التوكيد وتقوية المعنى لا تختلف من المثقلة عن المخففة والعكس ، وما الفرق بينهما إلا فى كون المثقلة عاملة والمخففة غير عاملة ، وذلك على حد قول الرمانى : " لكن تكون مخففة ومثقلة، فالمخففة غير عاملة، والمثقلة عاملة ومعنا هما فى كلا الحالتين الاستدراك والتوكيد"(٣).

سابعاً: " أمَّا " مفتوحة الهمزة مشددة الميم :

من مؤكدات الجملة الاسمية " أمَّا " بفتح الهمزة وتشديد الميم وهى حرف شرط وتفصيل وتوكيد نحو (أمَّا زيد فمنطلق) وأغلب وردودها فى أحاديث الجامع الصحيح للترمذى على هذا

---

(١) الجامع الصحيح للترمذى كتاب الأطعمة . باب ما جاء فى كراهية أكل الثوم والبصل . ١٨٠٧.

(٢) السابق . كتاب تفسير القرآن . باب ومن سورة التوبة . رقم ٣٠٩٥

(٣) معانى الحروف، للرمانى. ص ١٣٣.

النحو مثل قوله -ﷺ-

".. أَمَّا مُعَاوِيَةُ : فَرَجُلٌ لا مَالَ لَهُ ، وَأَمَّا أَبُو جَهْمٍ : فَرَجُلٌ شَدِيدٌ عَلَى النِّسَاءِ" (١).

وهكذا بمعنى أن ما بعدها مبتدأ يطلب خبراً والجملة من المبتدأ والخبر مؤكدة بـ " أمَّـا" والتأكيد لها ثابت فى مثل هذا التركيب وغيره،

وعن عدد شواهد " أمَّا" فى أحاديث الجامع الصحيح للترمذى فيقدر بعد الحصر (بأربعـة وثلاثين شاهداً) موزعة حسب مقامات الحديث الشريف كما يلى :

(ستة شواهد) فى مقام الحديث عن العبادات وذلك نحو قوله -ﷺ- .

"لَيْسَ شَيءٌ أَحَبَّ إِلَى اللهِ مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأَثَرَيْنِ: قَطْرَةُ مِنْ دُمُوعٍ فِى خَشْيَةِ اللهِ، وَقَطْرَةُ دَمٍ تُهرَاقُ فِى سَبِيلِ اللهِ، وَأَمَّا الأَثَرَانِ: فَأَثَرٌ فِى سَبِيلِ اللهِ ، وَأَثَرٌ فِى فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ." (٢).

(واثنى عشر شاهداً) فى مقام الحديث عن العادات ومن ذلك قوله -ﷺ-

"أَمَّا أَنَا فَلا آكُلُ مُتَّكِئاً"(٣).

(وستة عشر شاهداً) فى مقام الحديث عن الغيبيات وذلك نحو قوله -ﷺ-

"يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ ثَلاثَ عَرْضَاتٍ ، فَأَمَّا عَرْضَتَانِ فَجِدَالٌ وَمَعَاذِيرُ ، وَأَمَّا العَرْضَةُ الثَّالِثَةُ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَطِيرُ الصُّحُفُ فِى الأَيْدِى ، فَآخِذٌ بِيَمِينِهِ ، وَآخِذٌ بِشِمَالِهِ "(٤).

---

(١) الجامع الصحيح للترمذى. كتاب النكاح . باب ما جاء أن لا يخطب الرجل على خطبة أخيه رقم ١١٣٥.

(٢) السابق: كتاب فضائل الجهاد ، باب ما جاء فى فضل المرابط. رقم ١٦٦٩

(٣) ينظر: ص١٠٣ من البحث

(٤) الجامع الصحيح للترمذى. كتاب صفة القيامة، باب ما جاء فى العرض. رقم: ٢٤٢٥.

وبعد فأمَّا" مما يؤكِّد مضمون الجملة الاسمية ، ويقوى إرادة دلالتها ومن ثم قصد إليها النبى -ﷺ- فى أكثر من موضع من مواضع حديثه الشريف وفى مقامات مختلفة حسب الحاجة والداعى.

وفضلاً عن ذلك فهى تفيد التفصيل الذى يزيد من إيضاح المعنى وبيانه بحيث يستوعب الكلام بها كل ما قد يطرأ على ذهن السامع من تساؤلات ومن ثم يقر فى نفسه وتتمكن دلالته فى عقله.

كما أنها تفيد معنى الشرط بدليل لزوم الفاء بعدها مما ينتج عنه إيقاظ السامع وتنبيهه لأهمية ما يلقى عليه وفى ذلك مزيد تقرير للمعنى المراد، وفضل توكيد لدلالته.

ومع قلة التوكيد بـ "أمَّا" فى جامع الترمذى، وتقارب أعداد ورودها فى مقامات الحديث فى هذا الجامع إلا أن النصيب الأوفر من استعمالها جاء فى مقام الحديث عن أمور الغيب وذلك مرجعه حاجة هذا المقام إلى فضل توكيد إذ الشك والإنكار ملازمان لحديث الغيب لما جُبلت عليه النفوس -غالباً- من عدم تصديقها إلا ما كان مُشاهداً أو مسموعاً،

ولما يقتضيه حديث الغيب من إطناب مشوِّق لا يمل منه السامع ومن هنا فأمَّا التفصيلية من أنسب ما يؤكد به حديث الغيب .

ثامناً:- حروف التنبيه:

حروف التنبيه هى (ألَا -أمَا-هَا) ومعناها تنبيه المخاطب على ما تُحدِّثه به، وفائدتها أنها تدل على تحقيق ما بعدها [1].

وهى حروف تنبيه وإيقاظ تلفت انتباه السامع إلى أهمية ما يُذكر بعدها ومن ثم يوليه من الاهتمام ما به يتمكن فى نفسه ويقر فى ذهنه، ولذا شاع استعمالها فى بيان النبى -ﷺ- فى جامع الترمذى نظراً لتطلب بيانه -ﷺ- نفساً واعية، وعقلاً نابها ، وفؤاداً خالياً من الشواغل التى تحول بين صاحبها وما يلقَى عليه فلا يعيه ولا يفطن إلى أهميته ، وإذا سُئل عنه يجيب مستفهما عن حقيقة المسئول عنه وكأنه ما مر به ولا أُلقى على سمعه من قبل.

ومما يؤكد القول بشيوع التعبير بحروف التنبيه فى أحاديث الجامع الصحيح للترمذى نتيجة الإحصاء الذى قمت بعمله لأساليب التوكيد فى هذا الكتاب الجامع والذى اتضح لى من

---

(١) ينظر : شرح المفصل ٨/١١٤ -مغنى اللبيب ص ٩٥ - الجنى الدانى ص ١٥٣ ، تأليف: الإمام الحسن بن قاسم المرادى ، ت.د/ فخر الدين قباوة - ٢/ محمد نديم ، ط ١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤١٣/ ١٩٩٢ .

خلاله أن حروف التنبيه (ألاَ ، أمَا، هَا) ورد التأكيد بها فيه (أربعمائة وتسعاً و أربعين مرة) مع التنبيه إلى عدم تساوى قسمة هذا العدد على حروف التنبيه الثلاثة ، إذا أن " أَلاَ " وردت (مائة وإحدى عشرة مرة)، و " أَمَا" وردت (اثنتين وعشرين مرة) ، و " هَا " وردت (ثلاثة مائة وست عشرة مرة)

وفيما يلى تفصيل الحديث عن هذه الحروف الثلاثة وبيان مقامات ورودها ، وأسرارها البلاغية:

(أ) " **أَلاَ** " **بفتح الهمزة والتخفيف**:

من معانى "أَلاَ" التنبيه فتدل على تحقق ما بعدها وتدخل على الجملتين الاسمية والفعلية[1]

وعن التأكيد بـ " أَلاَ " فى أحاديث الجامع الصحيح للترمذى فيقدر عدد ورودها فيه بـ (مائة وإحدى عشرة مرة) تختلف كثرة وقلة فى مقامات ورودها حسب الحاجة إليها والداعى للتأكيد بها، وبيان ذلك فيما يلى :

أولاً: فى مقام العبادات : أكد النبى- ﷺ- حديثه بـ " أَلاَ " (ثمانى وثلاثين مرة) ومن ذلك قوله- ﷺ - شحذاً للهمم وحثاً لها على الاجتهاد فى العبادة والطاعة :

" .... أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ، أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الجَنَّةُ " [2].

ثانياً:- فى مقام العادات أكد النبى- ﷺ- حديثه بـ" أَلاَ" (ستاً وأربعين مرة) ومن ذلك قوله -ﷺ- " أَلاَ كُلُّكُم رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ... أَلاَ فَكُلُّكُم رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ " [3].

ثالثاً: فى مقام الغيبيات أكد النبى -ﷺ- حديثه بـ " أَلاَ " (سبعاً وعشرين مرة) ومن ذلك قوله : ﷺ " ... أَلاَ إِنَّ اللهَ سَيَفْتَحُ لَكُمُ الأَرْضَ ...." [4].

"فأَلاَ" تُوقظ السامع، و تُلقى فى قلبه الشعور بأهمية المعنى المؤكَّد بها ومن ثم يوليه من الاهتمام ما به يتأكد لديه ويقر فى نفسه، ولذا شاع استعمالها فى بيانه -ﷺ- فى جامع الترمذى ولقد وضح مما سبق كثرتها فى مقامى العادات والعبادات نظراً لاقتضاء الحديث حينئذٍ نفساً واعية، وعقلاً نابهاً خالياً من الشواغل ليقرَّ فيه ما يُلقى عليه إذ الحديث يخص بناء

(١) ينظر: مغنى اللبيب ص٩٥، ٩٦ - الكشاف ١/٢٣ - البرهان ٤/٢٣٥.
(٢) الجامع الصحيح للترمذى. كتاب صفة القيامة ، باب ما جاء فى صفة أوانى الحوض ، رقم ٢٤٥٠
(٣) ينظر . ص١٤٨ من البحث.
(٤) الجامع الصحيح للترمذى كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الأنفال، رقم ٣٠٨٣.

شخصية المسلم وتعويده أموراً لم يكن له بها سابق عهد، ومن ثم ففائدة "أَلاَ" هي توكيد ضرورة انتباه السامع، وتقوية شعوره بأهمية ما يلقى عليه.

وأما عن مقام الغيب وقلة ورودها فيه بالنسبة للمقامين السابقين فمرجع ذلك ما يُحدثه حديث الغيب فى النفس من يقظة وانتباه تام نظراً لما هو كامن فى النفوس من ميل فطرى إلى معرفة ما غاب عنها وشوق ورغبة يحجزانها عن الانشغال حينئذٍ بغير ما يُلقى عليها من حديث غيبى، ومن ثم فـ "أَلاَ" حين تذكر فى أحاديث الغيب تكون بغرض كمال المبالغة فى لفت الانتباه وقسره على ما النفس بصدد سماعه.

هذا : والأحاديث السابق ذكرها أمثلة لورود التوكيد "بأَلاَ" فى مقامات مختلفة راعيت فيها أن تكون مما أَكَّدت به " أَلاَ" مضمون الجملة الاسمية بدخولها عليها ،

وإتماما للفائدة أذكر أن التأكيد بـ" أَلاَ" فى جامع الترمذى لم يكن مقصوراً على الجملة الاسمية فقط بل كان لها وللجملة الفعلية أيضاً ، ولقد سبق أن أشرت إلى أنها يُؤكَّد بها كل من الجملتين الاسمية والفعلية على السواء حسب ما قال به علماء اللغة السابق ذكره [1].بل إن شواهد " أَلاَ " داخلة على الجملة الفعلية فى أحاديث الجامع الصحيح للترمذى أكثر من شواهدها داخلة على الجملة الاسمية إذ يُقدّر دخولها على الجملة الفعلية فى أحاديث الترمذى بـ (ستة وستين شاهداً) من مجموع ورودها فيه.

ولقد تبيَّن لى اختلاف معانى " أَلاَ " حال دخولها على الجملة الفعلية ، فجاءت مفيدة التنبية (أربعا وأربعين مرة)، وجاءت للعرض (اثنتى عشرة مرة) ، وجاءت للتحضيض (تسع مرات) ، وجاءت للتوبيخ (مرة واحدة) ، وشواهد ذلك فيما يلى :

١-**التنبيه** : ومنه قوله -ﷺ-

" ... أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ الجَنَّةَ ..." [2].

٢-**العرض**: " وهو طلب الشيء بلين " [3]. ومنه قوله -ﷺ-

" أَلاَأَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا ، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ..." [4].

---

(١) ينظر: صـ٢٨٢ من البحث.

(٢) الجامع الصحيح للترمذى: كتاب فضائل الجهاد ، باب ما جاء فى فضل الغدو والرواح فى سبيل الله ، رقم ١٦٥١

(٣) مغنى اللبيب . ص ٩٧.

(٤) ينظر صـ من البحث.

٣ـ**التحضيض** : وهو " طلب الشيء بِحَثٍّ" [١].

ومنه قوله -ﷺ - لأناس ماتت لهم شاة :

" أَلَا نَزَعْتُمْ جِلْدَهَا ، ثُمَّ دَبَغْتُمُوهُ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ " [٢].

٤ـ**التوبيخ**: وله شاهد واحد فقط فى جامع الترمذى وهو قوله -ﷺ- لأناس رآهم ركباناً فى جنازة :

"أَلَا تَسْتَحْيُونَ ؟ إِنَّ مَلَائِكَةَ اللهِ عَلَى أَقْدَامِهِمْ وَأَنْتُمْ عَلَى ظُهُورِ الدَّوَابِّ ! " [٣].

و" أَلَا " فى كل ذلك لا تخلو من إفادة التوكيد وتقرير المعنى المراد لتنبيهها الذهن، وإيقاظها الحس وذلك مما يُمكِّن فى النفس أهمية معنى ما دخلت عليه حالة كونها للتنبيه وكذا حالة كونها مفيدة للعرض ، أو التحضيض ، أو التوبيخ إذ أن توجيه السؤال بها حسب المعنى المراد حينئذٍ ثم تعقيبه بالجواب مما يقرر مضمون الجواب ويسوقه إلى أعماق النفس لوقوعه حينئذ موقع المنتظر المترقب علمه.

وبعد: فنظراً لمكانة " أَلَا" فى التنبيه والإيقاظ والتهيئة والإعداد لِتلقِّى ما دخلت عليه وحصول تقرير مضمونه وتعميق معناه فى نفس السامع عمد النبى- ﷺ -إلى الإكثار من التعبير بها فى بيانه الشريف فى جامع الترمذى خاصة فى مقام حديثه عن العادات والعبادات كما سبق أن أشرت إلى ذلك لكونها تلفت انتباه القارئ أو السامع للأحاديث المشتملة عليها، وتدعوه إلى تأملها واستعادة قراءتها أو سماعها ليدرك بنفسه مالها من دور بارز فى تأكيد المعنى المراد فى إيجاز يستوعب تفصيل جزئياته وتوضيح ما انطوى عليه من دلالات أضعاف كلمات الحديث وأكثر ومن ثم كانت كثرة ورودها فى بيانه -ﷺ- فى جامع الترمذى من خصائص هذا البيان المعجز ، وسماته التى عرف بها واشتهرت عنه.

---

(١) ينظر : معنى اللبيب ص ٩٧.

(٢) الجامع الصحيح للترمذى : كتاب اللباس ، باب ما جاء فى جلود الميتة إذا دبغت ، رقم ١٧٢٧

(٣) السابق . كتاب الجنائز ، باب ما جاء فى كراهية الركوب خلف الجنازة، رقم ١٠١٢

(ب)" أَمَا " بفتح الهمزة والتخفيف:

"أَمَا" بالفتح والتخفيف على وجهين (أحدهما) أن تكون حرف استفتاح وتنبيه إشارة إلى تحقق ما يذكر بعدها وتأكيد مضمونه وهى حينئذ بمنزلة " أَلَا " وتكثر قبل القسم كقول الشاعر:

أَمَا وَالَّذِى أَبْكَى وَأَضْحَكَ وَالَّذِى ⁂ أَمَاتَ وَأَحْيَا وَالَّذِى أَمْرُهُ الأَمْرُ

(والآخر) أن يكون معناها العرض كأحد معانى " أَلَا" نحو (أَمَا تقوم ، أَمَا تقعد) والمعنى أنك بذلك تعرض على المخاطب فعل القيام أو القعود لترى هل يفعلهما أولاً؟

ولا يكون بعدها حينئذ إلا الفعل وإن أتى بعدها الاسم فعلى تقدير الفعل نحو(أَمَا زيداً) والتقدير (أَمَا تبصر زيداً) ،

وقد تكون بمعنى (حقاً أو أحقاً) فتدخل على" أَنَّ " بفتح الهمزة والتشديد [1].

والواقع أنه لا توجد شواهد لِأَمَا بهذا المعنى الأخير فى جامع الترمذى.

وبالنظر فى أحاديث هذا الجامع تبيَّن لى قلة استعمال النبى-ﷺ- " أَمَا " بالمقارنة مع " أَلَا" السابق الحديث عنها ، ذلك أن عدد شواهد " أَمَا " فى جامع الترمذى يقدر بـ (اثنين وعشرين شاهداً) ، (ثلاثة عشر شاهداً) منهم كانت "أَمَا" فيهم داخلة على الجملة الاسمية بغرض التنبيه والإشارة إلى تقرير المعنى المراد توكيده فى النفس،

(وتسعة شواهد) كانت فيهم داخلة على الجملة الفعلية مفيدة التنبيه فى أربعة منها ، والعرض فى الخمسة الباقية ،

وفيما يلى عرض لأمثلة من شواهد " أَمَا " فى جامع الترمذى حسب مقامات ورودها ونوع الجملة الداخلة عليها :

١-توكيد الجملة الاسمية بـ " أَمَا "

جاءت " أَمَا " داخلة على الجملة الاسمية بغرض توكيدها (ثلاث عشرة مرة) كما بيَّنت موزعة حسب مقامات الحديث الشريف كما يلى:

---

(١) ينظر: مغنى اللبيب ص ٧٨، ٧٩ والبيت لأبى صخر الهذلى -شرح المفصل ١١٥/٨ -رصف المبانى فى شرح حروف المعانى ، للإمام أحمد بن عبد النور المالقى، ص ٩٦، ٩٧ ت/ أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

(أربع مرات) فى مقام الحديث عن العبادات ، ومن ذلك قوله -ﷺ-

" ... أَمَا إِنِّى قَدْ أَصْبَحْتُ صَائِمًا" (١).

(ومرة واحدة فقط) فى مقام الحديث عن العادات وهى قوله -ﷺ- :

" أَمَا إِنَّهُ إِنْ كَانَ قَوْلُهُ صَادِقًا فَقَتَلْتَهُ دَخَلْتَ النَّارَ" (٢).

(وثمان مرات) فى مقام الحديث عن الغيبيات ومن ذلك قوله - ﷺ-:

"... أَمَا إِنَّها سَتَكُونُ لَكُمْ أَنْمَاطٌ " (٣).

٢ـ توكيد الجملة الفعلية بـ " أَمَـا " :

أشرت سابقاً إلى أن دخول " أَمَا " على الجملة الفعلية فى جامع الـــترمذى ورد (تســع مرات فقط) وفيما يلى عرض لشواهدها حسب المعنى المستفاد منها:

التنبيه : أفادت " أَمَا " داخلة على الجملة الفعلية التنبيه (أربع مرات) ومن ذلك قوله - ﷺ- لرجل- كان يعوده قد جُهِد حتى صار مثل الفَرْخ:

"أَمَا كُنْتَ تَدْعُو؟ أَمَا كُنْتَ تَسْأَلُ رَبَّكَ العَافِيَةَ ..؟" (٤).

العرض: أفادت " أَمَا " داخلة على الجملة الفعلية العرض (خمس مرات) ومن ذلك قولـــه - ﷺ- لعلى بن أبى طالب -رضي الله عنه- عندما أراد منه أن يخلفه على المدينة فى بعض مغازيه:

"أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّى بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لا نُبُوَّةَ بَعْدِى" (٥).

وبعد: فكل أحوال استعمال " أَمَا " فى جامع الترمذى يرشد إلى تقريرها مضمون ما تدخل عليه وإن كانت إفادتها التقرير تعظم حالة كونها داخلة على الجملة الاسمية أكثر مـــن كونـــها

---

(١) الجامع الصحيح للترمذى . كتاب الصوم، باب صيام التطوع بغير تبييت ، رقم ٧٣٣.

(٢) السابق، كتاب الديات ، باب ما جاء فى حكم ولى القتيل فى القصاص والعفو، رقم ١٤٠٧.

(٣) السابق ، كتاب الأدب ، باب ما جاء فى الرخصة فى اتخاذ الأنماط، رقـــم ٢٧٧٤ والنمط: هـــو ظـــهارة الفراش، ويطلق على بساط لطيف له خمل يُجعل على الهودج وقد يجعل ستراً. ينظر: تحفة الأحـــوذى ١٩٨/٧ – لسان العرب، مادة [نمط].

(٤) الجامع الصحيح للترمذى . كتاب الدعوات، باب ما جاء فى عقد التسبيح باليد، رقم ٣٤٨٧.

(٥) السابق، كتاب المناقب ، باب مناقب على بن أبى طالب، رقم ٣٧٣٣.

داخلة على الجملة الفعلية نظراً لاقترانها بـ "إِنَّ" المشددة فى الثلاثة عشر موضعاً الداخلة فيهم على الجملة الاسمية فى جامع الترمذى، ولا يخفى ما تفيده "إِنَّ" من تقرير النسبة المرادة، ودفع الشك عنها أو الإنكار لها ، وفضلاً عن ذلك ما يفهم من الجملة الاسمية من تقرير ثبوت المعنى المراد ولزومه ومن ثم تعظم إرادة التنبيه إلى أهميته وتأكيد مضمونه، وهو سر كثرتها فى مقام الحديث عن الغيب بالمقارنة مع غيره من مقامات الحديث الأخرى كثرة تتسق مع عدد ورودها.

(ج)**هاء التنبيه**:

هاء التنبيه مثل " أَلَا" لتحقيق ما بعدها أو ما تدخل عليه أى أنها تؤكد مضمون الجملة وتنبه إلى أهميته نحو قوله -ﷺ-عن أبى بكر وعمر -رضى الله عنهما- هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الجَنَّةِ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ إِلَّا النَّبِيين وَالمُرْسَلِينَ ..." (١).

" وهى تستعمل لتنبيه المخاطب على ما بعدها من الأسماء المبهمة ليتنبه لها وتصير عنده بمنزلة الأسماء الظاهرة ، وذلك لأنها مبهمة لوقوعها على كل شىء من حيوان وجماد فافتقرت إلى تنبيه المخاطب لها كما افتقرت إلى الصفة " (٢).

وعن التأكيد بهاء التنبيه فى أحاديث النبى -ﷺ- فى جامع الترمذى ، فهو من الكثرة بمكان حتى إن استعمالها فى بيانه -ﷺ- فى هذا الجامع لَيُعد من سماته البارزة نظراً لشيوعها فيه مما يلفت انتباه من يطالعه إذا أن عدد ورودها فيه يقدر بـ (ثلاث مائة وسبع وعشرين مرة) وهى بذلك أكثر حروف التنبيه وروداً فى هذا الجامع،

ومن الملاحظ أن استعمال هاء التنبيه فى جامع الترمذى يُعد مختصا بأسماء الإشارة ومقصوراً عليها إذ أن عدد شواهد دخولها على أسماء الإشارة فيه (ثلاث مائة وأربع عشرة مرة) (و الثلاث عشرة مرة) الباقية من إجمالى ورودها فيه جاءت فيهم داخلة على " أى " فى النداء وذلك نحو قوله -ﷺ -

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللهَ..." (٣).

---

(١)الجامع الصحيح للترمذى: كتاب المناقب ، باب فى مناقب أبى بكر وعمر رضى الله عنهما كليهما، رقم ٣٦٧٣

(٢) شرح المفصل ١١٦/٨.

(٣) الجامع الصحيح للترمذى ، كتاب صفة القيامة ، باب ما جاء فى صفة أوانى الحوض ، رقم ٢٤٥٧ وينظر: الجنى الدانى صـ١٣٩.

وعن مقامات التأكيد بهاء التنبيه فى أحاديث الجامع الصحيح للترمذى فبيان ذلك فيما يلى:

أولاً: مقام العبادات ، ورد التأكيد بهاء التنبيه فى مقام حديث النبى -ﷺ- عن العبادات (خمساً وثمانين مرة) ومن ذلك قوله -ﷺ- :-

" مَا مِنْ أَيَّامٍ العَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ العَشْرِ ..." (١).

ثانياً:ـمقام العادات ، ورد التأكيد بهاء التنبيه فى مقام حديث النبى -ﷺ- عن العادات (مائة مرة) ومن ذلك قوله -ﷺ- حينما كان مع صحابته فى سفر فَنَدَّ منهم بعير ولم يكن معهم خيل فرماه رجل بسهم فحبسه الله بذلك فقال -ﷺ-

"إِنَّ لِهَذِهِ البَهَائِمِ أَوَابِدَ كَأَوَابِدِ الوَحْشِ، فَمَا فَعَلَ مِنْهَا هَذَا ، فَافْعَلُوا بِهِ هَكَذَا"(٢).

ثالثاً:ـ مقام الغيبيات، ورد التأكيد بهاء التنبيه فى مقام حديث النبى -ﷺ- عن أمور الغيب (مائة واثنتين وأربعين مرة) ومن ذلك قوله -ﷺ- مشيراً إلى المشرق:

"هَاهُنَا أَرْضُ الفِتَنِ.." (٣).

وبعد : فاختصاص هاء التنبيه فى جامع الترمذى بالدخول على اسم الإشارة حسب غالب حالها فيه عدا ما سبقت الإشارة إليه من دخولها بقلة على " أى " فى النداء،

لكون اسم الإشارة مبهما يصلح لكل حاضر، والمراد واحد بعينه ومن ثم كانت كثرة التنبيه بها داخلة عليه فى مقام الحديث عن الغيب ولزومها إياه فى هذا المقام خاصة -لما يكتنفه من الغموض والخفاء الذى لا يحسن معه التعبير عنه بما فيه إبهام وخفاء كاسم الإشارة منفرداً عن هاء التنبيه،

تاسعاً:ـ الحال المؤكدة لمضمون الجملة الاسمية :

من مؤكدات الجملة الاسمية الجملة الحالية فقد وردت مؤكدة لمضمون الجملة الاسمية المتقدمة عليها فلزمتها والتصقت بها لإفادة التأكيد وذلك نحو قوله -تعالى-﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ "

---

(١)الجامع الصحيح للترمذى: كتاب الصوم ، باب ما جاء فى العمل فى أيام العشر ، رقم ٧٥٧

(٢) السابق: كتاب الأحكام والفوائد ، باب ما جاء فى البعير والبقر والغنم إذا ند فصار وحشياً يُرمى بسهم أم لا، رقم ١٤٩٢.

(٣)السابق: كتاب الفتن ، باب ما جاء فى النهى عن سب الرياح ، رقم ٢٢٦٨.

فجملة " لَا رَيْبَ فِيهِ" قد فُهم معناها مما قبلها وهو جملة " ذَلِكَ الكِتَابُ" المتضمنة كمال القرآن الكريم فهو الكتاب الكامل ولا كتاب غيره وذلك يستلزم نفى الشك عنه ، ومن ثم فهى حالية تؤكد ما تضمنته الجملة السابقة(١).

وتجدر الإشارة إلى قلة ورود هذا النوع من التأكيد فى أحاديث النبى-ﷺ- فى جامع الترمذى إذ تبلغ شواهده فيه (خمسة عشر شاهداً)، شاهد واحد فى مقام الحديث عن الغيب وهو قوله -ﷺ- :

" ... وَإِنَّ مُوسَى-عَلَيْهِ السَّلَامُ - خَلَا يَوْمَاً وَحْدَهُ..." (٢).

فقوله " وحده" حال مؤكدة لمضمون الجملة الاسمية قبله إذ يؤكد انفراد نبى الله موسى -عليه السلام- وهو ما فُهم من الجملة السابقة " وإنَّ موسى -عليه السلام. خلا يوماً".

(والأربعة عشر شاهداً) الباقية اختص مجيئها فى جامع الترمذى بمقام الحديث عن العبادات ، ومن ذلك قوله-ﷺ-

" لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ... " (٣).

فقوله : " وحده لا شريك له" حال مؤكدة لقوله " لا إله إلا الله " (٤). مما يقرر فى نفس السامع تفرُّد الخالق – عز وجل – بالألوهية، واستحقاقه العبادة دون سواه ، ويقصد به ترسيخ عقيدة التوحيد فى النفس من خلال تأكيدها بهذه الكيفية التى تُمكِّن لها فى نفس السامع وتُعظم تقريرها عنده،

ومن شواهد تأكيد الحال لمضمون الجملة الاسمية قبلها فى مقام الحديث عن العبادات – أيضاً – فى جامع الترمذى ، قوله -ﷺ- :-

"مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ مِنْ قَلْبِهِ صَادِقَاً، بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ ،وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ"(٥).

---

(١) ينظر : أساليب التوكيد فى القرآن الكريم ، ص ٢٦١ والآية من سورة البقرة رقم(٢).

(٢) ينظر: ص٢١٤ من البحث.

(٣) الجامع الصحيح للترمذى كتاب الحج، باب ما جاء ما يقول عند القفول من الحج والعمرة ، رقم ٩٥٠.

(٤) ينظر: الفتوحات الربانية على الأذكار النووية ، تأليف : محمد على بن محمد بن علان البكرى الصديقى الشافعى ، ت/ عبد المنعم خليل إبراهيم ، ١١٨/١، ط ١، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

(٥) الجامع الصحيح للترمذى : كتاب فضائل الجهاد ، باب ما جاء فيمن سأل الشهادة، رقم ١٦٥٣.

فقوله " صادقاً" حال مؤكدة لمضمون الجملة قبلها ، ومقررة ضرورة الإخلاص فى طلب الشهادة حتى يُؤتَى العبدُ ما أعده الله -تعالى -للشهداء .

وهكذا بدا ما للحال المؤكِّدة لمضمون الجملة الاسمية من دور بارز فى تحقيق المبالغة فى تقرير معناها ، ومن ثم غلب ورودها فى مقام الحديث عن العبادات وخاصة ما يتعلق منها بأمور العقيدة وإقرار عقيدة التوحيد لخطر أمرها، وعظم ما يترتب عليها سواء بالإيجاب أو السلب، ومن هنا كان تكرير النبى-ﷺ- تعقيبه جملة " لا إله إلا الله" بحال متضمنة معناها توكيداً لها (اثنتى عشرة مرة) مع اختلاف فى سياق الأحاديث المشتملة عليها ورواياتها وذلك من مجموع ورود التوكيد بالحال للجملة الاسمية فى الجامع الصحيح للترمذى.

المبحث الثاني

الخصائص الفنية لمؤكدات الجملة الفعلية في الجامع الصحيح للترمذي

المبحث الثاني

الخصائص الفنية لمؤكدات الجملة الفعلية في الجامع الصحيح للترمذي

أولا : نونا التوكيد الثقيلة والخفيفة:

نونا التوكيد الثقيلة والخفيفة حرفان من أحرف المعاني يلحقان آخر المضارع والأمر، وفائدتهما المعنوية هى تأكيد المعنى المراد وتقويته بأقصر لفظ، وتخليص المضارع للزمن المستقبل وتقوية الاستقبال فى الأمر،

والنون الثقيلة أبلغ من الخفيفة فى إفادة التأكيد إذ أن تكرير النون فى الثقيلة بمنزلة ذكر الفعل ثلاث مرات، والخفيفة بمنزلة ذكره مرتين[1].

وعن تأكيد الحديث النبوى بهما فى جامع الترمذى فيجدر التنبيه أولاً إلى أنه لا توجد شواهد لتأكيد الجملة الفعلية بنون التوكيد الخفيفة في جامع الترمذي، وأن عدد شواهد التوكيد بالنون الثقيلة فيه يبلغ (أربعة وستين شاهداً)، كما أن شواهد هذه النون الثقيلة في جامع الترمذى اختصت كذلك بالدخول على الفعل المضارع دون الأمر، وذلك بغرض تقوية معنى المضارع من جهة، وتخليصه للزمن المستقبل من جهة أخرى، نحو قوله ـ ﷺ ـ :-

(..... وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ[2])

هـذا: وحالات توكيد المضارع بنون التوكيد الثقيلة فى جامع الترمذي ثلاثة فقط:

الأولى: وهى ما كان تأكيده بها واجباً نظراً لكونه مثبتاً مستقبلاً جوابا لقسم غير مفصول من لامه بفاصل[3].

وهذا النوع كثير الورود فى أحاديث الترمذي إذ تبلغ شواهده (اثنين وثلاثين شاهداً) من مجموع ورود التأكيد بالنون الثقيلة فيه، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلي كثرة تأكيد المضارع

---

(١) البرهان ٤١٩/٢ ـ التوكيد في النحو العربى صـ١٣٥، ١٣٦ ـ أساليب التوكيد في القرآن الكريم صـ ١٩.

(٢) انظر: صـ٤٤٢ بالبحث

(٣) ينظر: أساليب التوكيد فى القرآن الكريم صـ ١٩.

بها على هذا النحو في مقام الحديث عن الغيب ـ خاصة ـ وهو أكثر مقامات الحديث حاجة إلى التوكيد أكثر طرقه تأثيراً في النفس، ومن ذلك قوله ـ ﷺ ـ في شأن الحجر الأسود:

"وَاللهِ لَيَبْعَثَنَّهُ اللهُ يَوْمَ القِيامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ يَشْهَدُ عَلَى مَنِ اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ"(١).

الثانية: وهي ما كان تأكيده بها كثيراً وذلك لوقوعه بعد أداة طلب (٢) وتبلغ شواهد المضارع مؤكّداً بالنون الثقيلة بعد طلب في جامع الترمذي (واحداً وثلاثين شاهداً) من مجموع شواهده مؤكداً بها فيه، ومن ذلك قوله ـ ﷺ ـ

"لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي المَاءِ الدَّائِمِ ثُمَّ يَتَوَضَّأُ مِنْهُ"(٣).

الثالثة: وهي ما كان تأكيده بها قليلاً وذلك لوقوعه حينئذ بعد نفي(٤) وقلة هذا النوع في الأساليب العربية يشهد لها ويؤكدها حديث النبي ـ ﷺ ـ إذ أن المضارع لم يرد مؤكّداً بالنون الثقيلة بعد نفي في جامع الترمذي إلا مرة واحدة، وهي قوله ـ ﷺ ـ:

"أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ لَنْ يَدَعَهُنَّ النَّاسُ ..."(٥).

وأما عن مقامات تأكيد المضارع بنون التوكيد الثقيلة في جامع الترمذي فهي كما يلي:-

ورد الفعل المضارع مؤكداً بالنون الثقيلة في حديث النبي ـ ﷺ ـ عن العبادات (عشرين مرة) ثلاث مرات بعد قسم، يجمعهن قوله ـ ﷺ ـ:

"وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَاباً مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ"(٦).

---

(١) الجامع الصحيح للترمذي . كتاب الحج، باب ما جاء في الحجر الأسود، رقم ٩٦١.
(٢) ينظر: أساليب التوكيد في القرآن الكريم صـ ٢٠.
(٣) الجامع الصحيح للترمذي، كتاب الطهارة، باب ما جاء في كراهية البول في الماء الراكد، رقم ٦٨.
(٤) ينظر : أساليب التوكيد في القرآن الكريم . صـ٢٠.
(٥) الجامع الصحيح للترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في كراهية النوح، رقم ١٠٠١. وسيأتي كاملاً صـ٢٩٤؟
(٦) السابق، كتاب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم ٢١٦٩.

وسبع عشرة مرة بعد طلب ومن ذلك قوله ـ ﷺ ـ:

"لَا تُثَوِّبَنَّ فِي شَيْءٍ مِنَ الصَّلَوَاتِ إِلَّا فِي صَلَاةِ الفَجْرِ"[1]

وأما مقام العادات: فقد ورد المضارع مؤكداً بالنون الثقيلة في حديث النبي ـ ﷺ ـ (ستاً وعشرين مرة إحدى عشرة مرة منها بعد قسم، ومن ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم:

"لَأَنْهِيَنَّ أَنْ يُسَمَّى رَافِعٌ، وَبَرَكَةٌ، وَيَسَارٌ"[2].

وأربع عشرة مرة منها بعد طلب، ومن ذلك قوله ـ ﷺ ـ:

"لَا يَتَفَرَّقَنَّ عَنْ بَيْعٍ إِلَّا عَنْ تَرَاضٍ"[3].

ومرة واحدة بعد نفي وهي قوله ـ ﷺ ـ : السابق ذكره:

"أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ لَنْ يَدَعَهُنَّ النَّاسُ: النِّيَاحَةُ وَالطَّعْنُ فِي الأَحْسَابِ، وَالعَدْوَى أَجَرَبُ بَعِيرٌ فَأَجْرَبَ مِائَةَ بَعِيرٍ مَنْ أَجْرَبَ البَعِيرَ الأَوَّلَ؟ وَالأَنْوَاءُ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا"[4].

وأما مقام الغيبيات: فقد أُكد فيه المضارع بالنون الثقيلة في (ثماني عشرة مرة) كان المضارع فيها كلها جواباً لقسم وذلك نحو قوله ـ ﷺ ـ عن كِسرى وقَيْصر:

".....وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ"[5].

وقوله ـ ﷺ ـ:

"لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَالِ حَتَّى يَلْحَقُوا بِالْجِبَالِ"[6].

وبعد: فمما يلاحظ على تأكيد المضارع بالنون الثقيلة في جامع الترمذي تقارب عدد وروده مؤكَّداً بها في مقامات الحديث الثلاثة وعدم اختصاص هذا النوع من التأكيد بمقام

---

(١)الجامع الصحيح للترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في التثويب في الفجر، رقم ١٩٨.

(٢) السابق ، كتاب الأدب ، باب ما يكره من الأسماء، رقم ٢٨٣٥.

(٣) السابق، كتاب البيوع، باب ما جاء في البَيِّعين بالخيار ما لم يتفرقا، رقم ١٢٤٨.

(٤) السابق ، كتاب الجنائز، باب ما جاء في كراهية النوح، رقم ١٠٠١.

(٥) السابق، كتاب الفتن، باب ما جاء إذا ذهب كسرى فلا كسرى بعده، رقم ٢٢١٦.

(٦) السابق، كتاب المناقب، باب في فضل العرب، رقم ٣٩٣٩.

معين على سبيل تغليب وروده فيه عن غيره وذلك نظراً إلى أنه لا غنى عنها فى كل المقامات وكذا لأهمية ما أُكد بها، وحرص النبي ـ ﷺ ـ على تقرير معناه في نفس السامع ولفت انتباهه إليه لا فرق فى ذلك بين الحديث عن عبادة ، أو عادة، أو غيب، طالما أن المُتحدَّث عنه ذو أهمية يقتضي إيصالها وتمكينها في نفسه تأكيدها بمؤكِّد قوى كالنون الثقيلة وذلك من خصائص التأكيد في أحاديث النبى ـ ﷺ ـ في جامع الترمذى.

ثانياً: قد:

"قد" حرف مختص بالفعل المتصرف الخبرى المثبت المجرد من ناصب، وجازم، وحروف التنفيس، ماضيا كان أو مضارعاً نحو قوله ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ وقوله : ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾، ولها فى كتب اللغة عدة معان، وهى فى الجملة الفعلية المجاب بها القسم مثل "إنّ" ، واللام" فى الاسمية المجاب بهما فى إفادة التوكيد[1].

وعن تأكيد الجملة الفعلية بـ "قد" فى جامع الترمذى ومقامات ذكرها وما تختص به؛ فمن خلال مطالعة أحاديث النبى ـ ﷺ ـ فى هذا الجامع تبين لى أن المعنى المراد من استعماله ـ ﷺ ـ "قد" فى أحاديثه على اختلاف مقاماتها هو التأكيد لمضمون الكلام وتحقيق معناه فى نفس السامع، ومن ذلك قوله ـ ﷺ ـ:

"إِنَّ اللهَ قَدْ أَعْطَى لِكُلِّ ذِى حَقٍّ حَقَّهُ، فَلَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ...."[2].

فالمقصود من التعبير بـ "قد" هنا هو تأكيد العدل الإلهى وأن ما قُدِّر لكل وارث وفُرض له إنما هو حظه الذى يستحقه دون زيادة أو نقصان ومن ثم لا تصح الوصية للوارث حتى لا يُعطَى فوق ما يستحقه ويترتب على ذلك حرمان غيره مما قُدر له.

والواقع أن "قد" في جامع الترمذى يصح القول عنها بأنها مختصة بالدخول على الفعل الماضى تحقيقاً لمعناه وتقريراً لدلالته فى النفس، ذلك أن جملة ورودها فى هذا الجامع هو (مائتان واثنتى عشرة مرة) مرتان فقط جاءت فيهما داخلة على الفعل المضارع وهما قوله ـ ﷺ ـ:

"لَا شُؤْمَ وَقَدْ يَكُونُ الْيُمْنُ فِي الدَّارِ، وَالْمَرْأَةِ، وَالْفَرَسِ"[3].

---

(١) ينظر: الإتقان ٢/٢١٢ ـ مغنى اللبيب صـ ٢٣١، ٢٣٢ ـ ضياء السالك صـ ١١٠ . والآية الأولى من سورة الشمس رقم (٩)، والثانية من سورة البقرة رقم (١٤٤).

(٢) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الوصايا، باب ما جاء لا وصية لوارث، رقم ٢١٢٠.

(٣) السابق ، كتاب الأدب، باب ما جاء في الشؤم، رقم ٢٨٢٤.

وقوله ــ ﷺ ــ :

".. لَقَدْ أَرَانِي مُنْذُ اللَّيْلَةَ ... " بمعنى : لم أنم[1].

والعدد الباقي وهو (مائتان وعشر مرات) جاءت "قد" فيه داخلة على الفعل الماضى وذلك نحو قوله ــ ﷺ ــ:

"مَنِ اكْتَوَى أَوْ اسْتَرْقَى فَقَدْ بَرِئَ مِنَ التَّوَكُّلِ"[2].

ولعل السر فى كثرة دخولها على الماضى فى جامع الترمذى هو المبالغة فى تقرير معنى التوكيد الذى يُفهم من التعبير بالفعل الماضى الذى يدل على تحقق معناه من خلال ما ضويـــة زمنه ومن ثم فالتعبير بقد" معه يدل على كمال المبالغة فى تقرير حصول المعنى المراد ومـــن هنا كثر دخولها عليه.

وعن مقامات التوكيد بـــ "قد" فى أحاديث الجامع الصحيح للترمذى ، وعدد ورودها فـــى كل مقام فبيان ذلك فيما يلى:

مقام العبادات: ورد التوكيد بـــ "قد" (تسعاً وخمسين مرة) ومن ذلك.

قوله : ﷺ : "... مَنْ قَرَأَ اللهُ الوَاحِدُ الصَّمَدُ فَقَدْ قَرَأَ ثُلُثَ القُرْآنِ"[3].

وأما مقام العادات: فقد ورد التوكيد بـــ "قد" فيه (ثمانى وستين مرة) ومن ذلك قوله ــ ﷺ ــ :-

"مَنْ أَتَى حَائِضاً أَوْ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا، أَوْ كَاهِناً، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ."[4].

وأما مقام الغيب: فقد ورد التوكيد بـــ "قد" فيه (خمساً وثمانين مرة) ومن ذلك قوله ــ ﷺ ــ:

"كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدْ التَقَمَ القَرْنَ وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ....."[5].

---

(١)الجامع الصحيح للترمذى: كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل الله لعباده، رقم ٢٨٦١.

(٢) السابق ، كتاب الطب، باب ما جاء في كراهية الرقية، رقم ٢٠٥٥.

(٣) السابق، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص، رقم ٢٨٩٦.

(٤) السابق، كتاب الطهارة، باب ما جاء في كراهية إتيان الحائض، رقم ١٣٥.

(٥) السابق، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الصور، رقم ٢٤٣١.

وبعد: فمما سبق يتضح لنا كثرة ورود التوكيد بـ " قد " في مقام الحديث عن الغيب ولعل السبب في ذلك يرجع إلي ما تتميز به "قد " من أنها لا يُؤتى بها في شئ إلا إذا كان السامع متشوقا إلى سماعه[1]، ومقام الغيب مما يتشوق السامع إلى استماع أحاديثه والوقوف على أخباره ماضية كانت أو حاضرة أو مستقبلة ومن ثم حسن الإكثار من التعبير بـ "قد" فيه لذلك، ولإفادتها تحقيق المعنى المراد وتأكيد صدقه.

ثالثاً: لـــن:

"لـن" حرف نصب ونفي واستقبال، وهى لتأكيد النفى كإنَّ فى تأكيد الإثبات، فتقول: (لا أبوح) فإذا أردت تأكيد النفى قلت: (لن أبرح) ، وهى موضوعة لنفي المستقبل، وأبلغ في نفيه من "لا"[2].

وعن التأكيد بلن في أحاديث الجامع الصحيح للترمذى وعدد ورودها فيه هو (إحدى وعشرون مرة) أكد بها النبي ـ ﷺ ـ نفى المستقبل قريبا كان أو بعيداً مع تنوع مقامات ذكرها والتوكيد بها، واختلاف عدد ورودها كثرة وقلة حسب الحاجة إليها واقتضاء المقام وذلك كما يلى:

أولاً: مقام العبادات: ورد التأكيد بـ "لن" فيه (خمس مرات) ومن ذلك قوله ـ ﷺ ـ :

"إِنَّكُمْ لَنْ تَرْجِعُوا إِلَى اللهِ بِأَفْضَلَ مِمَّا خَرَجَ مِنْهُ [3]) يعنى : القرآن

ثانياً: مقام العادات: ورد التأكيد بـ "لن" فيه (ست مرات) ومن ذلك قوله ـ ﷺ ـ لرجل مشرك لَحِق به يوم بدر بغرض العون والمشاركة مع المسلمين فى قتال مشركى قريش:

"ارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ" [4].

ثالثاً: مقام الغيبيات: ورد التأكيد بـ "لن" فيه (عشر مرات) ومن ذلك.

قوله ـ ﷺ ـ حكاية عن رسل الله الذين يلجأ الناس إليهم يوم القيامة بغرض أن يشفعوا لهم عند ربهم حتى يصرفهم من الموقف ويخفف عنهم شدة ذلك اليوم:

"...إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ..."[5]

هذا القول مكرر فى حديث الشفاعة بعد ذلك ثلاث مرات.

---

(١) ينظر : البرهان ٤١٧/٢.

(٢) ينظر: البرهان ٤٢٠/٢ ـ شرح المفصل ١١١/٨ ، ١١٢.

(٣) الجامع الصحيح للترمذى . كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ماله من الأجر، رقم ٢٩١١.

(٤) السابق ، كتاب السير، باب ما جاء في أهل الذمة يغزون مع المسلمين هل يسهم لهم، رقم ١٥٨٥

(٥) السابق ، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في الشفاعة، رقم ٢٤٣٤.

وبعد: فلن تختص بتوكيد نفى المضارع الداخلة عليه فى زمنه المستقبل ــ خاصة ــ قريبا كان أو بعيدا، وإن كان تعلقها بنفى المستقبل البعيد هو الأكثر ورودا في جامع الترمذى كما تبين من الإحصاء السابق ذكره، وذلك نظرا لكونه حينئذ غيبا يخفى على السامع علمه ومن ثم احتيج حين الحديث عنه إلى أداة تتسم بالقوة والمبالغة في إقرار المعنى المراد و "لن" أبلغ من غيرها من أدوات النفى فى توكيد نفى المستقبل وذلك حسب ما قرره العلوى بقوله : "تختلف "لن" عن "لا" فى أن "لن" آكد من "لا" فى نفى المستقبل مطلقا"(١).

ومن نافلة القول أنه والأمر كذلك فإن أكثر شيوعها فى الأخبار الغيبية التى لا تؤخذ إلا من في رسول الله ــ ﷺ ــ ولا مانع أن يمتزج الخبر الغيبي ببعض التقعيدات الشرعية والدنيوية التى يستنبطها المجتهدون من المسلمين بعد ذلك.

رابعا: السين وسوف:

من مؤكدات الجملة الفعلية "السين، وسوف" ومعناهما التنفيس فى الزمان فإذا دخلا على مضارع خلّصاه للاستقبال إلا أن "سوف" أشد تراخيا في الاستقبال من "السين" وأبلغ تنفيسا (٢).

وفائدتهما تأكيد الاستقبال والتنبيه على حتمية حصول معنى الفعل الداخلتان عليه (٣).

وعن التوكيد بـ "السين وسوف" فى جامع الترمذى فتتميز السين عن سوف بورودها فيه (ثلاثاً وثلاثين مرة) في حين اقتصر التوكيد بسوف على ورودها (مرة واحدة) وشاهدها قوله ــ ﷺ ــ:

"إِذَا تَقَاضَى إِلَيْكَ رَجُلَانِ فَلَا تَقْضِ لِلْأَوَّلِ حَتَّى تَسْمَعَ كَلَامَ الْآخَرِ، فَسَوْفَ تَدْرِي كَيْفَ تَقْضِي"(٤).

ولعل السر فى ذلك يرجع إلى ما تتميز به السين عن سوف (من سرعة فى إفادة الاستقبال) (٥) ومن ثم كثر التعبير بها في مقام الحديث عن غيب المستقبل ــ خاصة ــ سواء

---

(١) الطراز، للإمام يحيى بن حمزة بن على بن إبراهيم العلوى اليمنى، ٢٠٨/٢، نشر دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان .

(٢) ينظر: شرح المفصل ١٤٨/٨.

(٣) البرهان ٤١٨/٢ ــ الكشاف ١٦٢/٢ ــ أساليب التوكيد في القرآن الكريم صـ ٦٢.

(٤) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الأحكام، باب ما جاء في القاضي لا يقضى بين الخصمين حتى يسمع كلامهما، رقم ١٣٣١.

(٥) ينظر: شرح المفصل ٨/ ١٤٨.

منه ما يدل على فتن آخر الزمان، أو مشاهد القيامة لإشعار السامع وكأنه يشاهد أحداث المستقبل ماثلة بين يديه ومن ثم ينشط في العبادة بما يحقق له الوعد وينجيه من استحقاق الوعيد المؤكَّد حصولهما بالسين،

ومن هنا بدا استعمال النبي ـ ﷺ ـ "السين" فى مقام الحديث عن غيب المستقبل ظاهرة وخصيصه من خصائص بيانه ـ ﷺ ـ في جامع الترمذى نظراً لتغليب ورودها في أحاديث هذا المقام عن غيره من المقامات الأخرى ومما يؤكد ذلك الإحصاء التالي:

أولاً: مقام العبادات: ورد التأكيد بالسين فيه (مرة واحدة) مع تكريرها فى قوله ـ ﷺ ـ :

"احْشُدُوا فَإِنِّى سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرآنِ" فحشد من حشد ثم خرج نبي الله ـ ﷺ ـ فقرأ: "قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ" ثم دخل وتحدّث الصحابة عن ذلك ثم خرج عليهم ـ ﷺ ـ فقال: "إِنِّى قُلْتُ سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرآنِ أَلَا وَإِنَّها تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ"(١).

ثانياً: مقام العادات: ورد التأكيد بالسين فيه (مرتين فقط) وهما قوله ـ ﷺ ـ:-

"مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِى بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ"(٢).

وقوله ـ ﷺ ـ في بيان فضل أبي عبيده بن الجراح:

"إِنِّى سَأَبْعَثُ مَعَكُمْ أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ"

فأشرف لها الناس فبعث أبا عبيده بن الجراح"(٣).

ثالثاً: مقام الغيب: ورد التأكيد بالسين في مقام حديث النبي ـ ﷺ ـ عن الغيب خاصة منه غيب المستقبل (ثلاثين مرة) ومن ذلك قوله ـ ﷺ ـ:

"سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ ـ أَوْ مِنْ نَحْوِ بَحْرِ حَضْرَمَوْتَ ـ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَحْشُرُ النَّاسَ ..."(٤).

---

(١) الجامع الصحيح للترمذى . كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص، رقم ٢٩٠٠.

(٢) السابق ، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حق الجوار، رقم ١٩٤٢.

(٣) السابق، كتاب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل، وزيد بن ثابت ، وأُبي بن كعب، وأبي عبيدة بن الجراح ـ رضى الله عنهم. رقم ٣٨٠٥.

(٤) السابق: كتاب الفتن، باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من قِبَل الحجاز، رقم ٢٢١٧.

وهكذا يبدو لمن يطالع أحاديث الغيب في جامع الترمذى أن التعبير بالسين في هذا المقام وخاصة منه ما يتعلق بالمستقبل سمة من سمات بيانه ـ ﷺ ـ فى هذا الجامع، وعلامة مميزة له يتضح من خلالها حرص النبى ـ ﷺ ـ على تأكيد استقبال الأفعال الداخلة عليها،وإقناع السامع بحتمية حدوثها فيما يُستقبل من الزمان، حثاً له على العمل بما يُهيِّئه للخلاص منها إن كانت شراً، أو الفوز بها إن كانت خيراً.

وقلة التعبير بالسين في مقامى العبادات والعادات ترجع إلى أن الحديث في هذين المقامين قائم على أساس التوجيه بما يجدر فعله أو التخلي عنه في زمن الخطاب وما يعقبه من أزمنة تالية له، والسين تفيد الدلالة على استقبال المضارع الداخلة عليه وتؤكد هذه الدلالة، ومن ثم غلب مجيئها حين الحديث عن غيب المستقبل كما سبق أن أوضحت لِملاءمة مقامه لِما تفيده السين وتؤكده.

خامساً: اللام الداخلة على جواب (لو) و (لولا):

من مؤكدات الجملة الفعلية اللام الداخلة على جواب "لو" و "لولا" فهى تؤكد ارتباط إحدى الجملتين بالأخرى.

ولا تدخل في جوابهما إلا على الماضى دون المستقبل ـ غالباً ـ وذلك تقوية وتحقيقاً لمعناه، (١).

وعن تأكيد الجملة الفعلية بها في أحاديث الجامع الصحيح للترمذى، فقد ثبت لَدي أن جواب "لو" جاء مؤكَّداً بهذه اللام (أربعاً وستين مرة)، بينما أُكِّد جواب "لولا" بها (اثنتي عشرة مرة).

أما بالنسبة لـ "لو":

فلم تتغير صورة جوابها الذى التُزِم اقترانه باللام المؤكِّدة في جامع الترمذى عن كونه ماضيا مثبتا نحو قوله ـ ﷺ ـ:

"لَوْ كُنْتُ آمِراً أَحَداً أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ، لَأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا"(٢).

---

(١) ينظر : شرح المفصل ٢٢/٩ ـ كتاب اللامات، تأليف: علي بن محمد الهروى النحوى صـ ١٢٠، ١٢١، ت. د/ أحمد عبد المنعم الرصد، ط١ مطبعة حسان القاهرة، سنه ١٩٩٤، ـ أساليب التوكيد في القرآن الكريم صـ ١١١ـ ١١٢.

(٢) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الرضاع ، باب ما جاء في حق الزوج على المرأة ، رقم ١١٥٩.

ومجيئه ماضيا مع التزام اقترانه باللام يزيد من قوة تحقيقه وتقرير دلالته في النفس إذ التعبير بالماضي يُشعر السامع بتحقق معنى الفعل المذكور فى حال تحقق ما عُلِّق عليه وهو في الحديث السابق الأمر بالسجود لأحد غير الله ـ تعالى ـ واللام الداخلة عليه تؤكد تلك الدلالة وتقوى ارتباط جملة الجواب بالشرط، والتزام جواب "لو" الاقتران باللام وهو ماض مثبت في أحاديث الجامع الصحيح للترمذى يُعد من خصائص بيانه ـ ﷺ ـ وسماته التى يُعرف بها.

وعن مقامات تأكيد جواب "لو" باللام في أحاديث الترمذى فبيانها كما يلى:

أولاً: مقام العبادات: ورد جواب "لو" مؤكّداً باللام فيه (ست عشرة مرة) ومن ذلك قوله ـ ﷺ ـ:

"لَوْ أَنَّ النَّاسَ يَعْلَمُونَ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيهِ لاسْتَهَمُوا عَلَيهِ"(١).

ثانياً: مقام العادات: ورد جواب "لو" مؤكّداً باللام فيه(ثماني وعشرين مرة) ومن ذلك قوله ـ ﷺ :

"لَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ، وَلَوْ دُعِيتُ عَلَيهِ لَأَجَبْتُ"(٢).

ثالثاً: مقام الغيبيات: ورد جواب "لو" مؤكّداً باللام فيه(عشرين مرة) ومن ذلك قوله ـ ﷺ ـ :

"..... وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِن نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى الأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا....."(٣).

ومما سبق يتضح لنا كثرة التوكيد باللام الداخلة على جواب "لو" فى مقام الحديث عن العادات مما يُعد من خصائص بيانه ـ ﷺ ـ : في جامع الترمذى، وذلك يرجع إلى إكثاره ـ ﷺ ـ من التعبير بـ "لو " في مقام العادات والرغبة في تأكيد جوابها "لو" وأنه لولا كونه معلَّقاً

---

(١) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الصلاة ، باب ما جاء في الصف الأول، رقم ٢٢٥.

(٢) السابق ، كتاب الأحكام، باب ما جاء في قبول الهدية وإجابة الدعوة، رقم ١٣٣٨. ـ والكُراع: هو مستدق الساق من الرِّجل، وهو أيضا ما دون الرسغ. ينظر : تحفه الأحوذى ٤/٢٣٥/ لسان العرب مادة:(كرع)

(٣)الجامع الصحيح للترمذى، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الغُدُوّ والرواح في سبيل الله، ، رقم ١٦٤٨.

حدوثه على حصول أمر غير واقع أصلاً لكان حقيقاً حصوله مرغوباً فيه وهذا مما يتلاءم أكثر مع مقام العادات عن غيره من مقامات الحديث الأخرى، ومن ثم كثر التعبير بـ "لو" فيه ولزوم ذلك تأكيد جوابها باللام تقريراً لمدلوله فى النفس وتقوية لارتباط الجملتين ببعضهما البعض.

وأما عن تأكيد الجملة الفعلية باللام الداخلة علي جواب "لو لا" فلقد سبق أن ذكرت أن عدد مرات دخول اللام المؤكِّدة على جوابها هو (اثنتي عشرة مرة) وفيما يلى عرض لنماذج من شواهد تأكيد جوابها باللام حسب مقامات ورودها فى جامع الترمذى:

أولاً: مقام العبادات: ورد جواب لولا" مؤكَّداً فيه(ثلاث مرات فقط) ومنها قوله -ﷺ -:

"لَوْ لا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِى، لَأَمَرْتُهُم أَنْ يُؤَخِّرُوا العِشَاءَ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ أَوْ نَصْفِهِ"(١).

ثانياً: مقام العادات: ورد جواب "لو لا" مؤكداً باللام فيه (سبع مرات) ومن ذلك قوله ـ ﷺ:

"لَوْلَا أَنَّ الكِلَابَ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ لَأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا كُلِّهَا، فَاقْتُلُوا مِنْهَا كُلَّ أَسْوَدَ بَهِيمٍ"(٢).

ثالثاً: مقام الغيبيات: ورد جواب "لو لا" مؤكَّداً باللام فيه (مرتين فقط) يجمعها قوله ـ ﷺ ـ في وصف حال أهل الجنة وأهل النار بعد أن يُذبح الموتُ أمامهم:

"... فَلَوْلَا أَنَّ اللهَ قَضَى لِأَهْلِ الجَنَّةِ الحَيَاةَ فِيهَا لَمَاتُوا فَرَحاً، وَلَوْلَا أَنَّ اللهَ قَضَى لِأَهْلِ النَّارِ الحَيَاةَ فِيهَا وَالبَقَاءَ لَمَاتُوا تَرَحاً"(٣).

وبعد: "فلولا" فى كل ما سبق وغيره مما لا يتسع المقام لذكره لم تخرج عن كونها دالة على الامتناع ومن ثَم فجوابها المؤكَّد باللام ممتنع حصوله لوجود غيره، وفائدة التأكيد حينئذ هى التنبيه على أهمية الجواب، ولفت انتباه السامع إليه، وأن تركه إما أن يكون بدافع التيسير المفهوم من الأمر الحاصل حينئذ نحو قوله ـ ﷺ ـ:

---

(١) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الصلاة، باب ما جاء في تأخير صلاة العشاء الآخرة، رقم ١٦٧.

(٢) السابق، كتاب الأحكام والفوائد، باب ما جاء في قتل الكلاب، رقم ١٤٨٦.

(٣) السابق ، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة مريم، رقم ٣١٥٦

"لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُم بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ"[1].

أو بدافع التعظيم والتفخيم من شأن الأمر الحاصل والمُمتنَع حصول الجواب المؤكَّد باللام من أجله وذلك نحو قوله ـ ﷺ ـ :

"لَوْلَا الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ"[2].

كما أن لِلَّام الداخلة على جواب "لولا" فائدة تقوية ارتباط إحدى الجملتين بالأخرى، وتنبيه السامع على أهمية معنى ما دخلت عليه.

سادساً: القَسَم:

ألفاظ القسم في بيانه ـ ﷺ ـ في جامع الترمذى متنوعة ومتفاوتة القوة نظراً لتفاوت المثيرات والدوافع فيقول ﷺ مرة "واللهِ" وثانية "وأَيْمُ اللهِ"، وثالثة " " والذى نفسى بيده " وتارة " والذى نفس محمد بيده " وأخرى والذى لا إله غيره" ومرة "والذى بعثني بالحق" وأخرى "ورب الكعبة" وقد لا يذكر المقسَم به مكتفيا بالإخبار عن القسم فيقول:"أقسم " ثم يذكر ما يريد القسم عليه، وقد يُعبّر عن قوله أقسم بقوله : "عزمت عليكم" بمعنى: أقسمت عليكم، وقد يضمر القسم ويدل عليه باللام الداخلة على جوابه نحو قوله:

" لَيَخْرُجَنَّ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَتِي يُسَمَّوْنَ الجَهَنَّمِيُّونَ"[3]

أو يدل على القسم باللام الموطئة والمؤذِنة بأن الجواب للقسم في حالة اجتماع الشرط مع القسم المضمر نحو قوله ـ ﷺ ـ:

"لَئِنْ عِشْتُ إِنْ شَاءَ اللهُ لَأُخْرِجَنَّ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ العَرَبِ"[4]،

فالألفاظ والطرق السابقة هى كل ألفاظ القسم وطرقه التي صدرت عن النبى ـ ﷺ ـ فى أحاديث الجامع الصحيح للترمذى .

---

(١)الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الطهارة، باب ما جاء في السواك، رقم ٢٢، ٢٣.

(٢) السابق، كتاب المناقب ، باب فى فضل الأنصار وقريش ، رقم ٣٩٠٨

(٣)السابق ، كتاب صفة جهنم، باب ما جاء أن للنار نفسين، وما ذكر من يخرج من النار من أهل التوحيد، رقم ٢٦٠٠.

(٤) السابق، كتاب السير، باب ما جاء فى إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، رقم ١٦٠٦.

ولقد وردت فى هذا الجامع أحاديث أكد معناها بطريق القسم والمُقسِم فيها ليس النبي ــ ﷺ ــ ولكنه ينقله لنا إما عن الله ــ تعالى ــ نحو قوله : "وعِزَّتِي" وقوله: "فَبِيَ حلفتُ"، أو عن جبريل ــ عليه السلام ــ نحو قوله : "وعِزَّتك..".

هذا : "والقسم يُؤكَّد به مضمون كلٍّ من الجملتين الفعلية والاسمية إذا وقعت كل منهما في جواب القسم مثبتة أو منفية أى إذا كان كل منهما مقسماً عليه"[1].

والدافع إلى وضعي القسم ضمن مؤكِّدات الجملة الفعلية رغم كونه مشتركاً بينها وبين الجملة الاسمية هو واقع الدراسة التى قمت بها فى أحاديث الجامع الصحيح للترمذى، والتى تبين لى من خلالها أن عدد شواهد التأكيد بالقسم فيه (ستة وثمانون شاهداً) (اثنان وستون) منها أكد القسم بها مضمون الجملة الفعلية لوقوعها جواباً له نحو قوله ﷺ :

"... وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ"[2].

(وأربعة وعشرون فقط) أكد القسم بها مضمون الجملة الاسمية لوقوعها جواباً له وذلك نحو قوله ﷺ فى وصف الحوض :

"وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ...)[3].

فلغلبة توكيد الجملة الفعلية بالقسم فى جامع الترمذى جعلته ضمن مؤكداتها مع عدم إغفال توكيده الجملة الاسمية وذلك من خلال بيان مقامات توكيده مضمون كلٍّ من الجملتين ــ الفعلية والاسمية ــ والخصائص المميِّزة له حال توكيده أيًّا منهما، وفيما يلى بيان ذلك.

(أ) **توكيد الجملة الفعلية بالقَسَم** :

سبق أن ذكرت أن تأكيد الجملة الفعلية بالقسم تُقدَّر شواهده بـ (اثنين وستين شاهداً) ومن خلال النظر والمطالعة تبيَّن لى تنوع ألفاظ القسم، وتعدد طُرقه، واختلاف مقاماته فلم يجر تأكيد الجملة الفعلية به فى بيانه ﷺ فى جامع الترمذى على وتيرة واحدة.

---

(١) التوكيد فى النحو العربى ، ص ١٤٥.

(٢) ينظر ص من البحث .

(٣) الجامع الصحيح للترمذى ، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء فى صفة أوانى الحوض، رقم ٢٤٤٥.

فبالنسبة لتنوع مقاماته واختلاف درجة التأكيد فيها كثرة وقلة حسب الحاجة والداعـــى، فلقد ورد تأكيد الجملة الفعلية بالقسم فى مقام الحديث عن العبادات (إحدى عشرة مرة) ومـــن ذلك قوله ﷺ :

"ثَلاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ : مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ..." (١).

وفى مقام الحديث عن العادات ورد تأكيد الجملة الفعلية بالقسم (إحدى وعشرين مرة) و من ذلك قوله ﷺ : "لَأُنْهِيَنَّ أَنْ يُسَمَّى رَافِعٌ، وَبَرَكَةٌ، وَيَسَارٌ"(٢).

وفى مقام الحديث عن الغيبيات ورد تأكيد الجملة الفعلية بالقسم (ثلاثين مرة) ومن ذلـــك قوله ﷺ عن الحجر الأسود :

"وَاللهِ لَيَبْعَثَنَّهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ يَشْهَدُ عَلَى مَنْ اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ"(٣).

مما سبق يتضح تفاوت أعداد التوكيد بالقسم حسب حاجة كل مقام وما يقتضيه، ولعـــل السر فى كثرة التوكيد به فى مقام الحديث عن الغيب خاصة منه مـــا يتعلـــق بأخبـــار الفتـــن ومشاهد القيامة كون القسم مؤكّداً لفظيا قويا يُقصد إليه فيما يكون الشأن فيه غلبة الشـــك أو الإنكار من السامع، ومن ثم فهو يقوم بدور التهيئة النفسية له بإثارة انتباهه لما سيُخبَر بـــه فيستقبله مستجمعا حواسه مُركِّزاً فكره وانتباهه إليه فيقر فى ذهنه ويتأكد لديه.

(كما أن من شأن الأمور الغريبة التى يخبر بها النبى ﷺ عن المستقبل وليست مما يُعزم على إيجاده من المشروعات التى تُعد لها الخطط وتُرسم لها المناهج، أن يدخل الشك فيها فـــى النفس لعدم وجود الدلائل والأمارات المبشرة بها والمقربة لهـــا،

والرسول ﷺ يؤكد لنا هذه الأخبار مراعاة لحال الشاك والمنكر ابتداءً، ولنضعـــها أمـــام أعيننا موضع المُسلَّم به المجزوم بصدقه، وللدلالة على كمال ثقته بها قبل أن يـــأتى زمانـــها،

---

(١) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الزهد، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، رقم ٢٣٢٥.

(٢) السابق، كتاب الأدب، باب ما يكره من الأسماء، رقم ٢٨٣٥.

(٣) السابق، كتاب الحج، باب ما جاء فى الحجر الأسود، رقم ٩٦١.

وإلقاءً بهذه الثقة على رؤوس القرون المقبلة ليشهد آخر الزمان بما شهد به أوله من دلائل صدقه ووثائق رسالته، ثم ليحذر المؤمنون على أنفسهم هذه الأمور المقبلة) [١].

وأما بالنسبة لتنوع ألفاظ القسم وتعدد طرقه فى حال تأكيده مضمون الجملة الفعلية الواقعة جواباً له فأكثر أساليب القسم استعمالا هو ما كان المقسَم به مضمراً ودُل عليه باللام الداخلة على جوابه نحو قوله ﷺ :

"لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِى مَا أَتَى عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ ..." [٢].

إذ أن عدد ورود هذا الأسلوب فى جامع الترمذى هو (اثنتان وعشرون مرة) يليه فى الكثرة القسم بقوله ﷺ: "والذى نفسى بيده" نحو "وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتُلُوا إِمَامَكُمْ وَتَجْتَلِدُوا بِأَسْيَافِكُمْ، وَيَرِثُ دُنْيَاكُمْ شِرَارُكُمْ" [٣].

إذ أن عدد ورود هذا الأسلوب هو (ثمان عشرة مرة)، ويليه القسم بلفظ الجلالة "اللهِ" نحو قوله ﷺ :

"... وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُم قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُم كَثِيراً ..." [٤].

إذ أن عدد ورود هذا الأسلوب هو (تسع مرات)، وما عدا ذلك من أساليب القسم وطرقه أقل من هذا العدد إذ القسم بقوله ﷺ "وأَيْمُ اللهِ" ورد ثلاث مرات فقط، وقوله: "عزمت عليكم" بمعنى : أقسمت عليكم ورد مرة واحدة فقط، وقوله "أُقسم" دون ذكر المقسَم به ورد مرة واحدة فقط، وقوله "والذى بعثنى بالحق" ورد مرة واحدة فقط أيضا،

ولعل السر فى كثرة القسم بحذف المقسَم به والدلالة عليه باللام الداخلة على جوابه، وكذا قوله "والذى نفسى بيده" وقوله "والله" هو ما تفيده الصيغة الأولى من المبالغة فى تقرير معنى المقسَم عليه إذ أن حذف المقسَم به يفتح الباب واسعاً أمام السامع فى تخيُّل أقوى الطرق دلالة على القسم وأكثرها إقناعاً وجعلها صيغة له،

---

(١) ينظر : الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ص ١١٣.

(٢) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الإيمان، باب ما جاء فى افتراف هذه الأمة، رقم ٢٦٤١.

(٣) السابق، كتاب الفتن، باب ما جاء فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، رقم ٢١٧٠.

(٤) السابق، كتاب الزهد، باب فى قول النبى ﷺ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، رقم ٢٣١٢.

وبالنسبة لقوله: "والذى نفسى بيده" فأرى أن شيوع القسم بهذه الصيغة لما فيها من تفخيم وتعظيم أكثر للمقسَم به من جهة امتلاكه نفس المقسِم وقدرته عليه مما يزيد من درجة لفت انتباه السامع ويدعوه إلى المبالغة فى الإصغاء للخبر المقسَم عليه بها،

وبالنسبة للقسم بلفظ الجلالة "الله" فعدد ذلك وإن قلَّ عن سابقه إلا أن لهذا الاسم العزيز جلالة وفخامة ورهبة تقع فى نفس السامع فور سماعه ومن ثم أكثر ﷺ من القسم به فى أحاديث الجامع الصحيح للترمذى.

(ب) **تأكيد الجملة الاسمية بالقَسَم:**

أشرت فيما سبق إلى أن أسلوب القسم أُكد به مضمون الجملة الاسمية فى جامع الترمذى (أربعا وعشرين مرة) ولقد اختلفت مقامات التوكيد به وتنوعت صيغه وطرقه حسب الحاجة والدافع إلى استخدامه وبيان ذلك فيما يلى :

أولا: مقام العبادات :

ورد تأكيد الجملة الاسمية بالقسم فى حديث النبى ﷺ عن العبادات (سبع مرات فقط) ومن ذلك قوله ﷺ :

"لَأَنْ أَقُولَ : سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ لِلهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيهِ الشَّمْسُ"(١).

ثانيا: مقام العادات: ورد تأكيد الجملة الاسمية بالقسم فيه (ست مرات فقط) ومن ذلك قوله ﷺ :

"لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِى، فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ"(٢).

ثالثا: مقام الغيبيات : ورد تأكيد الجملة الاسمية بالقسم فى حديث النبى ﷺ عن الغيب فى جامع الترمذى (إحدى عشرة مرة) وبذلك فمقام الغيب هو أكثر مقامات الحديث الشريف تأكيداً بالقسم فى جامع الترمذى سواء للجملة الفعلية السابق ذكرها أو الاسمية ومن ذلك قوله ﷺ عن يأجوج ومأجوج بعد هلاكهم:

---

(١) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الدعوات، باب فى العفو والعافية، رقم ٣٥٩٧.

(٢)السابق، كتاب المناقب، باب فيمن سب أصحاب النبى ﷺ رقم ٣٨٧٠.

"... فَوَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ دَوَابَّ الأَرْضِ تَسْمَنُ وَتَبْطَرُ، وَتَشْكَرُ شَكَراً مِنْ لُحُومِهِمْ"[1].

هذا : وتأكيد الجملة الاسمية بالقسم لا يختلف كثيراً عن تأكيد الجملة الفعلية به فى جامع الترمذى وذلك لأن أكثر ورود القسم مؤكِّداً لمضمون الجملة الاسمية فيه إنما هو فى مقام الحديث عن الغيب كما تبين من الإحصاء السابق ، وعِلة ذلك سبق أن بيَّنتها عند التعرض لكثرة توكيد الجملة الفعلية بالقسم فى مقام الغيب[2].

وهكذا الحال بالنسبة لصيغ القسم وألفاظه المستعملة فى الجملة الاسمية فى جامع الترمذى إذ أن أكثر صيغهِ استعمالاً هى صيغة "والذى نفسى بيده" حيث ورد التأكيد بها (ست مرات) وكذا صيغة حذف المقسَم به والدلالة عليه بلام القسم نحو قوله ﷺ: "... وَلأَنْ تَرْمُوا أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ أَنْ تَرْكَبُوا ..."[3] حيث ورد التأكيد بها (ست مرات) أيضاً، ويلى ذلك صيغة "والذى نفسُ محمدٍ بيده" حيث ورد التأكيد بها (خمس مرات) .

ولقد ذكرت سبب الإكثار من التوكيد بالصيغتين الأولى والثانية عند التعرض لكثرتهما فى توكيد الجملة الفعلية بالقسم[4] وبالنسبة للصيغة الثالثة "والذى نفس محمد بيده" فحالها لا يختلف كثيراً عن صيغة "والذى نفسى بيده" وإن كان يفرق بينهما تعبيره ﷺ فى إحداهما بالضمير، وفى الأخرى بالعَلَم، ولا شك أن فى التعبير بالعَلَم تقوية للمعنى المراد وتأكيداً لفخامة الصيغة المقسَم بها لكون التعبير به يؤكد استحضار صاحبه وهو النبى ﷺ فى نفس السامع، ومن ثم يدفعه ذلك إلى تمام العناية والاهتمام بالمقسَم عليه .

---

(١) الجامع الصحيح للترمذى ، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الكهف، رقم ٣١٥٣.

(٢) ينظر: ص٣٠٥ من البحث .

(٣)الجامع الصحيح للترمذى ، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء فى فضل الرمى فى سبيل الله رقم ١٦٣٧.

(٤) ينظر: ص٣٠٦ من البحث .

وعن بقية صيغ القسم المؤكّد بها مضمون الجملة الاسمية فى جامع الترمذى فهى القسم بلفظ الجلالة "الله" ورد القسم به أربع مرات فقط، والقسم بصيغة "ورب الكعبة" وردت (مرتين فقط)، والقسم بصيغة "والذى لا إله غيره" وردت (مرة واحدة فقط).

وبعد: فللقسم دور بارز فى تأكيد صدق المقسَم عليه وإلزام السامع بتصديقه إذ المتحدّث به وهو النبى ﷺ صادق لم يُجرَّب عليه كذب قط، فإذا ما أُضيف إلى ذلك قَسَمه على صدق ما يُخبر به فلا سبيل حينئذ إلَّا إلى تصديقه وإلا فالخسارة كلها لمن شأنه الشك أو الإنكار، وفضلا عن ذلك ما يفيده أسلوب القسم من إشعار السامع بخطر المقسَم عليه وأهميته فيحصل لديه شوق إلى معرفته والوقوف عليه فإذا ما تحقق له ذلك تمكن فى نفسه فضل تمكن، وصار المقسَم عليه بالنسبة له قانونا يلزمه التسليم به والسير حسب ما يرشد إليه.

المبحث الثالث

الخصائص الفنية لمؤكدات بعض الجملة فى أحاديث الجامع الصحيح للترمذى

المبحث الثالث

الخصائص الفنية لمؤكدات بعض الجملة فى أحاديث الجامع الصحيح للترمذى

أولاً: التوكيد المعنوى

من مؤكدات بعض الجملة "التوكيد المعنوى" وهو تابع يقرر أمر المتبوع فى أصل النسبة، بأن يرفع توهم الإسناد إلى غيره، أو فى شمول النسبة وإحاطتها بأن يرفع توهم إرادة الخصوص بما ظاهره العموم،

والألفاظ التى يُؤكَّد بها المتبوع الذى يُقرَّر أمره فى النسبة اثنان فقط وهما "النفس، والعين" والألفاظ التى يُؤكَّد بها المتبوع الذى يُقرَّر أمره فى الشمول، أو التى ترفع توهم عدم إرادة الشمول هى "كلا، كلتا، كل، جميع، عامة" ولابد من إضافة ألفاظ التوكيد المعنوى إلى ضمير يطابق المؤكَّد،

وقد يُراد تقوية المؤكَّد والمبالغة فيه فيُتبع لفظ "كل" بأجمع وأخواته نحو : جاء الجيش كله أجمع، والقافلة كلها جمعاء، والحجاج كلهم أجمعون، والهندات كلهن جمع[1].

وعن تقرير المعنى بألفاظ التوكيد المعنوى فى أحاديث الجامع الصحيح للترمذى فلم يرد منها إلا لفظ "عين" مرة واحدة فقط وهو فيها مجرور بباء زائدة وذلك فى قوله -ﷺ-.

"أَيُّمَا امْرِئٍ أَفْلَسَ وَوَجَدَ رَجُلٌ سِلْعَتَهُ عِنْدَهُ بِعَيْنِهَا فَهُوَ أَوْلَى بِهَا مِنْ غَيْرِهِ"[2]، ولفظ "كل" ورد ثلاثين مرة، ومن ذلك قوله -ﷺ-: "الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ إِلَّا الْمَقْبَرَةَ وَالْحَمَّامَ"[3]،

ولفظ "أجمع ورد" مرة واحدة فقط، وهو فيها غير مسبوق بكل، وذلك فى قوله -ﷺ- فى بيان وجوب متابعة الإمام فى الصلاة:

"..... وَإِذَا صَلَّى قَاعِدًا فَصَلُّوا قُعُودًا أَجْمَعُونَ"[4].

---

(١) ينظر: اللمع فى العربية، لابن جنى، ت. د/ حسين محمد شرف، صـ١٦٩، ط١، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م - شرح ابن عقيل ٣/ ٢٠٦ وما بعدها - التوكيد فى النحو العربي صـ٢٥.

(٢) الجامع الصحيح للترمذي، كتاب البيوع، باب ما جاء إذا أفلس للرجل غريم فيجد عنده متاعه، رقم ١٢٦٢.

(٣) السابق، كتاب الصلاة، باب ما جاء أن الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام، رقم ٣١٧.

(٤) السابق، كتاب الصلاة، باب ما جاء إذا صلى الإمام قاعداً فصلوا قعوداً، رقم ٣٦١.

وقلة المستعمل من ألفاظ التوكيد المعنوى فى جامع الترمذي، وانحسار ألفاظه فيه فى الثلاثة السابق بيانها بأعدادها وهى غير متجاوزة المرة الواحدة بالنسبة للفظى (عين، وأجمع) تُعد من سمات بيانه -ﷺ- فى هذا الجامع وسماته التى عُرف بها، ولعل ذلك يرجع إلى قلة القصد إلى هذه الألفاظ باستثناء لفظ " كل " حين إرادة التوكيد والاستغناء عنها بما يقوم مقامها من أدوات درج المتحدثون على استخدامها.

وعن مقامات التوكيد بألفاظ التوكيد المعنوى فى جامع الترمذى – أعنى لفظ "كل" الوارد فيه ثلاثين مرة- فالغالب استعماله فى مقام الحديث عن العبادات وذلك لوروده فيه (أربع عشرة مرة) مما يعد -أيضا- من سمات التوكيد فى البيان النبوي فى جامع الترمذي، ولعل ذلك يرجع إلى دلالة لفظ "كل" على تأكيد إرادة الشمول ورفع توهم إرادة الخصوص مما يتلائم مع الحديث عن العبادات لاقتضائها الشمول -غالبا- ومن ذلك قوله -ﷺ-:

"مَنْ أَفْطَرَ يَوْمًا مِنْ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ رُخْصَةٍ وَلَا مَرَضٍ لَمْ يَقْضِ عَنْهُ صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ، وَإِنْ صَامَهُ"(١).

وأما مقام العادات فلقد أكد النبي -ﷺ- حديثه بلفظ "كل" فيه(خمس مرات) ومن ذلك قوله -ﷺ-: "لَوْلَا أَنَّ الكِلَابَ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ لَأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا كُلِّهَا فَاقْتُلُوا مِنْهَا كُلَّ أَسْوَدَ بَهِيمٍ"(٢).

وأما مقام الغيب: فلقد أكد النبي -ﷺ- حديثه بلفظ "كل" فيه (إحدى عشرة مرة) ومن ذلك قوله -ﷺ- عن الدجال:

".....وَإِنَّهُ يَدْخُلُ الأَمْصَارَ كُلَّهَا إِلَّا طِيْبَةَ، وَطِيبَةُ المَدِينَةُ"(٣).

ثانياً: التوكيد اللفظى:

التوكيد اللفظى تابع يقرر أمر متبوعه بإعادة لفظه بنَصِّه أو بموافقِه معنى تقوية له واعتناءً به.

---

(١) الجامع الصحيح للترمذى . كتاب الصوم، باب ما جاء فى الإفطار متعمداً، رقم ٧٢٣.

(٢) السابق، كتاب الأحكام والفوائد، باب ما جاء فى قتل الكلاب، رقم ١٤٨٦.

(٣) السابق، كتاب الفتن، باب ما جاء فى النهي عن سب الرياح، رقم ٢٢٥٣

ومن ثم فهو نوعان: الأول: ما يُؤكَّد فيه المتبوع بإعادة لفظه بعينه، نحو قوله -ﷺ-:

"الصَّلاَةُ مَثْنَى مَثْنَى"(١).

الثاني: ما يُؤكَّد فيه المتبوع بإعادة مرادفه أو موافقه فى المعنى نحو قوله -ﷺ-

"لاَ تَقومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْبَعِثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ ...."(٢).

وبالنظر فى أحاديث النبي -ﷺ- فى جامع الترمذي تبين لى كثرة استخدامه -ﷺ- أسلوب التوكيد اللفظى تقريراً لمراده، وتمكيناً له فى نفس السامع، وذلك أن عدد وروده فيه هو (خمسة وسبعون) خمس فقط من النوع الثانى وهو ما أُكِّد فيه المتبوع بإعادة مرادفه أو موافقه فى المعنى ومن ذلك قوله -ﷺ-:

"مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيْدَةٍ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَحَدِيدَتُهُ فِى يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فى بَطْنِهِ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَالِداً مُخَلَّداً أَبَداً ....."(٣).

فقوله -ﷺ- "أبداً" يؤكد خلود قاتل نفسه فى النار بهيئته المنصوص عليها ويُقوى إرادة الخلود بموافقته قوله: "خالداً مخلداً" فى المعنى مبالغة فى الترهيب من قتل المرء نفسه.

وأما السبعون شاهداً الباقية من شواهد التوكيد اللفظى فى جامع الترمذي فهى ما أُكِّد فيها المتبوع بإعادة لفظه بعينه، وهذا النوع إما أن يكون المؤكَّد بإعادة لفظه كلمة، أو حرفاً، أو جملة، ومن ثم سأتناول فيما يلى كل نوع منه على حِده مبيناً مقامات التوكيد به، وعدد وروده وخصائصه المميزة له.

أ-ما كان المؤكَّد بإعادة لفظه كلمة:

ورد توكيد النبي -ﷺ- كلمة بعينها من خلال إعادة لفظها تقريراً لمدلولها، إبعاداً للشك أو النسيان أو الغلط من التسلل إلى نفس السامع بخصوصها (تسع عشرة مرة) والكلمة المؤكَّدة بإعادة لفظها حينئذ إما اسم، أو فعل، أو اسم فعل،

---

(١) الجامع الصحيح للترمذي. كتاب الصلاة، باب ما جاء فى التخشع فى الصلاة، رقم (٢٨٥)

(٢) ينظر: شرح المفصل ٤١/٣ - شرح ابن عقيل ٢١٤/٣ - رقم ٣٨٥، والحديث الشريف من جامع الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون، رقم ٢٢/٨.

(٣) الجامع الصحيح للترمذي، كتاب الطب، باب ما جاء فيمن قتل نفسه بسم أو غيره، رقم ٢٠٤٣.

أمَّا الاسم: فهو أكثر أنواع الكلمة المؤكّدة بإعادة لفظها فى جامع الترمذي وذلك لـوروده فيه (خمس عشرة مرة) سبع فى مقام الحديث عن العبادات، ومن ذلك قوله -ﷺ-:

"صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى....."[1].

وأربع فى مقام الحديث عن العادات، ومن ذلك قوله -ﷺ- فى بيان دية الموضّحة وهـى الجراحة التى ترفع اللحم من العظم وتوضحه[2].

"فِى المَوَاضِحِ خَمْسٌ خَمْسٌ"[3].

(وأربع) -أيضاً- فى مقام الحديث عن الغيبيات، ومن ذلك قوله -ﷺ-:

"لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِى الأَرْضِ: اللهُ اللهُ"[4].

وأما الفعل: فلقد ورد مؤكّداً بإعادة لفظه فى جامع الترمذي (ثلاث مرات فقط) ومن ذلـك قوله -ﷺ- "شِعَارُ المُؤْمِنِ عَلَى الصِّرَاطِ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ"[5].

وأما اسم الفعل: فلم يتجاوز تأكيده فى جامع الترمذي بإعادة لفظه المرة الواحدة وهـى قوله -ﷺ- لعلى بن أبي طالب -رضي الله عنه- عندما هَمَّ أن يأكل من طعام لا يوافق حالته ومرضه ذات يوم: "مَهْ مَهْ يَا عَلِيُّ فَإِنَّكَ نَاقِهٌ"[6].

مما سبق يتضح لنا كثرة تأكيد الاسم بإعادة لفظه عن الفعل واسم الفعـل فـى جـامع الترمذي، ولعل ذلك مرجعه حاجة المقام أولاً، ثم ما يتميز به الاسم من الدلالة علـى الثبـوت ولزوم دلالته، ومن ثم تتأكد هذه الدلالة ويشتد رسوخها فى ذهن السامع عندما يُعـاد ذكـره ويقرع سمعه أكثر من مرة.

---

(١) الجامع الصحيح للترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء أن صلاة الليل مثنى مثنى، رقم ٤٣٧.

(٢) ينظر: تحفة الأحوذى ٣٠٣/٤ . لسان العرب . مادة [وضح].

(٣) الجامع الصحيح للترمذي، كتاب الديات، باب ما جاء فى الموضّحَةِ، رقم ١٣٩٠

(٤) السابق، كتاب الفتن، باب ما جاء فى أشراط الساعة، رقم ٢٢٠٧

(٥) السابق، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء فى شأن الصراط، رقم ٢٤٣٢.

(٦)السابق، كتاب الطب، باب ما جاء فى الحِمْيَة، رقم ٢٠٣٧. والنَّاقِة : هو من برأ وأفاق وكان قريب عهد لم يرجع إليه كمال صحته وقوته ، لسان العرب، مادة [نقه].

و يلاحظ تقارب مقامات الحديث فى جامع الترمذي التى أُكّد فيها الاسم بإعـــادة لفظـــه وذلك قصداً إلى ضرورة الالتزام بما قُرر لتعلقه حينئذ بمهم يعظم نفعه.

(ب) ما كان المؤكَّد بإعادة لفظه بعينه حرفاً:

قد يؤكّد الحرف من خلال إعادةلفظه بعينه تمكيناً لدلالته، وتقريراً لها فى النفس، وحينئذ إما أن يُعاد دون أن يُذكر معه ما دخل عليه شريطة أن يكون الحرف المراد توكيده من أحـوف الجواب وذلك كأن يسأل سائل: أقام زيد؟ فيقال نعم نعم، أو أجل أجل، أو لا لا وهكذا .

وإما أن يُعاد الحرف مع ما دخل عليه وذلك إذا لم يكن من أحرف الجواب نحو (إنَّ زيداً إنَّ زيداً كريم) [1].

وبالنظر فى أحاديث النبي -ﷺ- فى جامع الترمذي تبين لي ندرة توكيد الحرف بإعادتـه وأن شواهد هذا النوع من التوكيد اللفظى لم تتجاوز الشاهد الواحد مما يُعد سمة من ســـمات بيانه -ﷺ- فى جامع الترمذي، وهذا الشاهد هـــو قولـــه -ﷺ-: "لَا" مرتين أو ثلاث كل ذلك يقول: "لَا" لا مرأة سألته عن اكتحال ابنتها التى توفى عنها زوجـــها وقـــد اشـــتكت عينها، ثم قال بعد ذلك: "إِنَّمَا هِيَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا....."[2].

(جـ) ما كان المؤكَّد بإعادة لفظه بعينه جملة:

الجملة المؤكَّدة تأكيداً لفظياً بإعادة لفظها بعينه إما أن تكون اسمية، أو فعلية وبـــالنظر فى أحاديث الجامع الصحيح للترمذي تبين لى أن كلاً من الجملتين الاسمية والفعلية قد أُكدتـــا تأكيداً لفظياً بإعادة لفظهما بعينه تقريراً له فى نفس السامع (خمسين مرة) اثنتين وثلاثين منها للجملة الاسمية، وثماني عشرة مرة للجملة الفعلية وبيان ذلك فيما يلى:

١ـ الجملة الاسمية:

أُكدت الجملة الاسمية تأكيداً لفظياً بإعادة لفظها بعينه فى جامع الترمذي (اثنتين وثلاثين مرة) كما ذكرت سابقاً وهى بذلك أكثر وروداً من الجملة الفعلية ولعل ذلك يرجع إلـــى كونـــها أبلغ من الفعلية فى إفادة توكيد المعنى فى النفس مما يجعل القصـــد إليـــها أكـــثر عنـــد إرادة المبالغة فى تقرير المعنى بتكرير الجملة الدالة عليه .

---

(١) ينظر: شرح ابن عقيل ٣/ ٢١٦ - التوكيد فى النحو العربي صـــ١٦، ١٧.

(٢) الجامع الصحيح للترمذي، كتاب الطلاق واللعان، باب ما جاء فى عدة المتوفـــى عنـــها زوجـــها، رقـــم ١١٩٧.

ومقامات التوكيد بالجملة الاسمية المعاد لفظها بعينه فى جامع الترمذي تُبيِّن لنا أيضاً وجه الحاجة إليها والإكثار من التوكيد بها وذلك لكونها هكذا أكثر وروداً فى مقام الحديث عن العبادات والعادات، ولا شك أن هذين المقامين مما يحسن التوكيد فيهما خاصة بما يفيد الثبوت واللزوم كالجملة الاسمية نظراً لقيام العبادة على أساس لزومها الوجه الذى علَّمه النبي -ﷺ- أمته.

وكذا العادات التى تكفَّل -ﷺ- بتأسيسها فى المجتمع المسلم، فى حاجة أيضاً إلى ما يفيد توكيدها ويقرر لزومها لما فى ذلك من نفع يعود على من يأخذ بها ومن ثم كثر توكيدها بالجملة الاسمية المعاد لفظها بعينه.

وعن شواهد التوكيد اللفظى بالجملة الاسمية وتنوع مقامات استعمالها فى جامع الترمذي، واختلاف أعدادها من مقام لآخر فبيان ذلك فيما يلى:

بالنسبة لمقام العبادات: فقد ورد التوكيد بها توكيداً لفظياً (أربع عشرة مرة) ومن ذلك قوله -ﷺ-:

"الحَجُّ عَرَفَاتٌ، الحَجُّ عَرَفَاتٌ، الحَجُّ عَرَفَاتٌ، ....."[1].

وأما مقام العادات: فلقد ورد التوكيد بها توكيداً لفظياً فى حديثه -ﷺ- عن العادات (خمس عشرة مرة) ومن ذلك قوله -ﷺ-:

"أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، ....."[2].

وأما مقام الغيب: فقد ورد التوكيد بالجملة الاسمية فيه توكيداً لفظياً (ثلاث مرات فقط) ومن ذلك قوله -ﷺ- حينما استيقظ من نومٍ رأى فيه ما فُتِح من ردم يأجوج ومأجوج وما فى ذلك من شر عظيم:

"لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. يُرددها ثلاث مرات....."[3].

---

(١) ينظر: ص ٧٤ من البحث
(٢) ينظر: ص ١٧٤ من البحث
(٣) ينظر: ص ٢٣٥ من البحث

٢ـ الجملة الفعلية:

أُكدت الجملة الفعلية تأكيداً لفظياً بإعادة لفظها بعينه فى جامع الترمذي (ثماني عشرة مرة) وهى بذلك أقل وروداً من الجملة الاسمية ولقد سبق أن بينت علة ذلك[١].

وبالنسبة لمقامات التوكيد بها توكيداً لفظياً فيُعد مقام الحديث عن العادات هو الأكثر توكيداً بالجملة الفعلية المعادة بلفظها نظراً لورودها فيه (عشر مرات) وذلك تنبيهاً على أهمية العادات المتحدَّث عنها، ولفتاً لانتباه السامع إليها ليُعيرها من اهتمامه ما به تتمكن فى نفسه ويدفعه إلى التزام ما تُوجه إليه، إذ المُتحدَّث به حينئذ مركب فعلى يفيد قوة الحث وينبه إلى أن المتحدَّث عنه أمر يتجدد فعله ومع كل تجدد له فحاله لا ينفك عن التوجيه النبوى الخاص به، وحتى إذا سمع سامع مقالته – ﷺ– يشعر وكأن المقصود بها شخصه وحالته الراهنة، وكأنها ما قيلت لأحد قبله مما يزيده حرصاً على الأخذ بها والالتزام بما ترشد إليه، ومن ذلك قوله –ﷺ–:

"..... إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِيْنَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ" ثلاث مرات[٢].

وأما مقام العبادات: فلقد أكد –ﷺ– حديثه عن العبادات بالجملة الفعلية المعادة بلفظها (خمس مرات) ومن ذلك قوله –ﷺ– :

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللهَ، اذْكُرُوا اللهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ"[٣].

وأما مقام الغيبيات: فلقد أكد –ﷺ– حديثه فيه بالجملة الفعلية المعادة بلفظها (ثلاث مرات) ومن ذلك قوله –ﷺ– حكاية عن المسلمين حين يطَّلع عليهم رب العالمين ويقول لهم، "أَلَا تَتْبَعُونَ النَّاسَ" بعد أن تَتَّبِع كلُّ فئة ما كانوا يعبدونه فى الدنيا، فيقول المسلمون له – سبحانه:

"...نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، اللهُ رَبُّنَا، وَهَذَا مَكَانُنَا حَتَّى نَرَى رَبَّنَا...."[٤].

---

(١) ينظر: صـ٣١٥ من البحث.

(٢) ينظر: صـ١٧٠ من البحث

(٣) أخرجه مسلم، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء فى صفة أوانى الحوض، رقم ٢٤٥٧.

(٤) السابق، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء فى خلود أهل الجنة وأهل النار، رقم ٢٥٥٧

وبعد: فالتوكيد اللفظى بأنواعه يدل على مبالغته -ﷺ- فى الاهتمام بما يصدر عنه، ورغبته الشديدة فى لفت انتباه السامع إليه وحرصه على ألاَّ يتطرق إليه بخصوصه شك، أو سهو أو غلط، أو نسيان، لِعظم ما يعود عليه مما أُكد بإعادة لفظه.

ثالثاً: المصدر المؤكد لعامله:

المصدر المؤكد لعامله هو ما عرَّفه النحاة بأنه ما يساوى معنى العامل المسلَّط عليه بأن يفيد ما أفاده العامل من الحدث من غير زيادة على ذلك من وصف أو عدد(١).

وهو لا يُثنَّى ولا يُجمع لكونه بمنزلة تكرير الفعل والفعل لا يثنى ولا يجمع، كما أنه لا يجوز حذف عامله لأنه مسوق لتقريره وتقويته والحذف مناف لذلك(٢).

ولقد ورد توكيد المصدر معنى العامل فى أحاديث الجامع الصحيح للترمذي (سبعاً وأربعين مرة) اختلفت فيها مقامات الحديث ولم تختلف دلالة المصدر إذ كان القصد إليه فى كل مرة منها بغرض توكيد معنى عامله وتقرير دلالته فى النفس وإزالة الشك عنها،

فلقد ورد التوكيد به فى مقام الحديث عن العبادات (ثمانى عشرة مرة) ومن ذلك قوله -ﷺ-

"مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْجُدُ لِلّهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً"(٣).

وفى مقام العادات: ورد التأكيد بالمصدر المؤكد لعامله (عشرين مرة) ومن ذلك قوله -ﷺ-:

"مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌ أَوْ طَيْرٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً"(٤).

وفى مقام الغيب: ورد التأكيد بالمصدر المؤكد لعامله (تسع مرات) ومن ذلك قوله -ﷺ- فى تأكيد خبر ذبح الموت فى الآخرة:

"..... فَيُضْجَعُ فَيُذْبَحُ ذَبْحًا عَلَى السُّورِ الَّذِى بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ....."(٥).

---

(١) ينظر: شرح المفصل ١/١١١ - التوكيد فى النحو العربي صـ ٩٥.

(٢) ينظر: شرح ابن عقيل ٢/١٧٤، ١٧٥.

(٣) الجامع الصحيح للترمذي. كتاب الصلاة، باب ما جاء فى كثرة الركوع والسجود وفضله، رقم ٣٨٨.

(٤) ينظر : ص١٣٧ من البحث.

(٥) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء فى خلود أهل الجنة، وأهل النار، رقم ٢٥٥٧ .

فلقد وضح مما سبق ما للمصدر المؤكِّد من دور في تقوية معنى العامل وتوكيد دلالته في النفس وذلك أنه يُقصد إليه عندما يفيد العامل معنىً هاماً يتطلب أن يتبعه المتحدث بكلمة تفيد ما أفاده من الدلالة على الحدث من غير زيادة وصف أو غيره، فيصير وكأن لفظه قد كُرر ذكره وطرق أذن السامع مرتين فيولِه من الاهتمام ما به يتمكن في ذهنه تمكناً يدفعه إلى منع الشك من التسلل إلى نفسه بخصوصه ويحفزه على العمل بما يقتضيه فِعلاً أو تركاً إن كان القصد به الحث على الفعل أو الترك .

ولعل من خصائص التوكيد بالمصدر المؤكد لعامله في جامع الترمذي أنه يغلب وروده في مقامى العبادات والعادات ، وذلك يرجع إلى حاجة الحديث في هذين المقامين إلى مؤكِّد يُقوي إرادة الحدث المدلول عليه بلفظ العامل ويقوم مقام تكرر ذكره لإزالة الشك في طلبه، وجعله مُسلَّماً به.

هذا: وعامل المصدر المؤكِّد إما مصدر مثله نحو (عجبت من ضربك زيداً ضرباً) أو فعل نحو (ضربت زيداً ضرباً) أو وصف نحو (أنا ضارب زيداً ضرباً) [1].

ومن ثم يتميز التوكيد به في جامع الترمذي بأن عامله لم يخرج عن كونه فعلاً إلا مرة واحدة وهى قوله ﷺ :-

"مَنْ قَدَّمَ ثَلَاثَةً لَمْ يَبْلُغُوا الحُلُمَ كَانُوا لَهُ حِصْنَاً حَصِينَاً مِنَ النَّارِ..."[2].

ومن ثم فحاجة المقام إلى التوكيد بالمصدر المؤكِّد لعامله تعظم نظراً لتحقيقه دلالة العامل - الفعل كما هو الغالب هنا- على الحدث وتجدده بتجدد دواعيه ومقتضياته مما يفسر_أيضاً_ غلبة التوكيد به في مقامي الحديث عن العبادات والعادات خاصةً لتجدد أفعالهما وتكررها بتكرر الزمان.

---

(١) ينظر: شرح ابن عقيل ٢/١٧٠.

(٢)الجامع الصحيح للترمذي. كتاب الجنائز، باب ما جاء في ثواب من قَدَّم ولداً، رقم ١٠٦١. والتقديم معناه: التقديم بالصبر على موتهم واحتسابهم عند ربه، أو المراد لازمه وهو التأخر عن موتهم. ينظر: تحفة الأحوذي ٣/٥١٠.

رابعاً: النعت:

من مؤكدات بعض الجملة النعت في بعض أحواله، وذلك لأن النعت تابع مكمل متبوعه ببيان صفة من صفاته، أو من صفات ما تعلق به، قد يراد به التوكيد نحو قولة_تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾، وإرادة التوكيد بالنعت تحصل إذا كان مدلوله مستفاداً من معنى المنعوت ومن ثم يكون لتوكيد المعنى الذي فُهم من المنعوت كما في الآية السابقة إذا أن المنعوت "نفخة" مصدر مختص لدلالته على الوحدة ومن ثم كان النعت "واحدة" توكيداً لهذا المصدر حيث استُفيد معنى المرة من لفظه. (١).

ومجئ النعت للتوكيد ورد في حديثه_ﷺ_ في جامع الترمذى (إحدى وعشرين مرة) موزعة حسب مقامات الحديث كما يلي:

ست مرات في مقام الحديث عن العبادات ومن ذلك قوله_ﷺ_ لمن سأله عن صيام غير رمضان:

"إِنْ كُنْتَ صَائِمَاً بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ فَصُمْ المُحَرَّمَ، فَإِنَّهُ شَهْرُ اللهِ فِيهِ يَوْمٌ تَابَ فِيهِ عَلَى قَوْمٍ، وَيَتُوبُ فِيهِ عَلَى قَوْمٍ آخَرِينَ" (٢).

فقوله : " آخرين " نعت مؤكّد لمغايرة لفظ "قوم " الثانى للمذكور أولاً .

وخمس مرات في المقام الحديث عن العادات ومن ذلك قوله_ﷺ_:

"إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ"(٣).

فقوله: "واحد" نعت مؤكّد لمعنى الوحدة المستفاد من المنعوت "أجر"

---

(١)ينظر شرح بن عقيل ١٩٢،١٩١/٣ - شرح المفصل ٤٨/٣ _التوكيد في النحو العربي ص١١٤،ص١١٥. والآبه من سورة الحاقة رقم(١٣).

(٢)الجامع الصحيح للترمذي. كتاب الصوم. باب ما جاء في صوم المحرم، رقم٧٤١.

(٣)السابق، كتاب الأحكام، باب ما جاء في القاضي يصيب ويخطئ،رقم ١٣٢٦ .

وعشر مرات في مقام الحديث عن الغيبيات ومن ذلك قوله ﷺ:

"تَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ وَلِسَانٌ يَنْطِقُ....."[1].

فقولة "تبصران، وتسمعان، وينطق" نعوت مؤكِّدة لعمل الجوارح المذكورة قبل كل نعت إذ ما فائدة العين والأذن واللسان للنار إن لم يعملوا العمل الذي خُلِقوا لأجله حينئذ.

فقد بدا مما سبق ما لذكر النعت من دور بارز في توكيد معنى المنعوت وتحقيق دلالته حتى لا يُتوهم إرادة غيرها بطريق الخطأ أو غيره.

ولعل قلة شواهد النعت المؤكِّد لمنعوته في أحاديث الجامع الصحيح للترمذي ترجع إلى تعدد الأغراض التى يُجاء بالنعت لأجلها وأن التوكيد واحد منها كما سبق أن أوضحت، كما أن مجئ النعت للتوكيد ليس مطرداً ولا شائعاً وأن توكيده مقصور على منعوته الذي قد تؤكِّد دلالته بمؤكِّد آخر غير إتباعه بلفظ النعت ومن ثم قلَّت شواهد التوكيد به في جامع الترمذي وقل اعتماده فيه مؤكِّداً.

خامساً: البدل:

من مؤكدات بعض الجملة "البدل" وهو التابع المقصود بالنسبة بلا واسطة، فأنواعه الثلاثة: بدل الكل من الكل أو المطابق نحو (مررت بزيد أخيك)، وبدل البعض من الكل نحو (أكلت الرغيف ثلثه)، وبدل الاشتمال وهو الدال على معنى في متبوعه نحو (أعجبني زيد علمه) كلها تفيد التوكيد نظراً لكون البدل تثنية للمراد وتكريراً له وبياناً للمبدل منه ففي اجتماع البدل والمبدل منه من التوكيد ما يحصل بالنفس والعين، ومن البيان ما يحصل بالنعت، ولو انفرد كل واحد من البدل والمبدل منه لم يحصل ما حصل باجتماعهما كما لو انفرد التأكيد[2].

وعن التوكيد بالبدل في أحاديث الجامع الصحيح للترمذى فعدد وروده فيه (سبع وأربعون مرة) مرتان فقط لبدل البعض من الكل وهما قوله ﷺ عن حال أُمة الإسلام من بعده: "....وَخَدَمَهَا أَبْنَاءُ المُلُوكِ، أَبْنَاءُ فَارِسٍ وَالرُّومِ...."[3].

---

(١) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب صفة جنهم ، باب ما جاء فى صفة النار ، رقم ٢٥٧٤.

(٢) ينظر: شرح ابن عقيل ٣/٢٤٧_٢٤٩_شرح المفصل ٣/٦٦.

(٣) الجامع الصحيح للترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في النهى عن سب الرياح،رقم٢٢٦١.

وقوله ﷺ:"اقْتَدُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ"[1].

ومرة واحدة فقط لبدل الاشتمال وهي قوله ﷺ:

"أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ هَمْزِهِ، وَنَفْخِهِ، وَنَفْثِهِ"[2].

والعدد الباقى بعد ذلك وهو (أربعة وأربعون) لبدل الكل من الكل المطابق، ومقامات التوكيد به فى جامع الترمذى متنوعة ومتباينة الكثرة والقلة وذلك حسب اقتضاء المقام والحاجة إلى هذا النوع من التوكيد،

ذلك أنه قد أُكد لفظ المبدل منه وتحققت دلالته من خلال اتباعه بلفظ البدل المطابق فى مقام الحديث عن العبادات (عشر مرات) ومن ذلك قوله ﷺ "

"اتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ .... "[3].

وفى مقام الحديث عن العادت أكد ﷺ لفظ المبدل منه بالبدل المطابق (سبع عشرة مرة) ومن ذلك قوله ﷺ:

"عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الحَبَّةِ السَّوْدَاءِ ...."[4].

وفى مقام الحديث عن الغيبيات أكد ﷺ لفظ المبدل منه بالبدل المطابق (سبع عشرة مرة) أيضاً ومن ذلك قوله ﷺ فى وصف الدجال :

"إِنَّهُ عَقِيمٌ لَا يُولَدُ لَهُ "[5].

وبعد: فأسلوب البدل يُقصد إليه بغرض توكيد معنى المبدل منه وتقرير دلالته مع إيضاحه وبيانه فهو يفيد التوكيد والبيان، والتوكيد به يعظم فى بدل الكل من الكل ــ المطابق ــ كما هو واضح من الأحاديث السابق ذكرها لكونه بمنزلة تكرير المبدل منه وإعادته تمكيناً لدلالته فى النفس وكمال إيضاحها ومن ثم كثر فى مقام الحديث عن الغيب وكذا العادات كثرة

---

(١)الجامع الصحيح للترمذى، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر ﷺ كليهما، رقم٣٦٧١.

(٢) السابق، كتاب الصلاة، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة، رقم٢٤٢.

(٣) السابق ،كتاب الجمعة، باب ما ذكر فى فضل الصلاة، رقم ٦١٦.

(٤) ينظر : ص١٩ من البحث .

(٥) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الفتن، باب ما جاء فى ذكر ابن صائد رقم ٢٢٤٦.

تتسق مع عدد وروده فى جامع الترمذى السابق بيانه، ولعل كثرته فى مقام الحديث عن أمور الغيب ترجع إلى حاجة الحديث فى هذا المقام إلى ما يقرر صدقه ويكسبه بيانا ، يحجز اللبس عنه وهو ما يحققه لفظ البدل لإفادته التوكيد والبيان.

وعن كثرته فى مقام الحديث عن العادات ــ أيضا ــ فذلك نظراً لكونها أموراً تتعلق بحياة المرء مما يجعله لا يعيرها ما به يتعامل مع نصوص العبادات والغيبيات ومن ثم يعمل لفظ البدل على لفت انتباهه إليها، ويشعره بأهمية المبدل منه الذى يطرق سمعه مرة ثانية من خلاله طرقاً يحمل معه من التوكيد والبيان ما به تتم فائدة الكلام وتقر دلالة المبدل منه فى نفسه.

سادسا: النداء بـ "يا أيها" :

من مؤكدات بعض الجملة النداء بـ "يا أيها" وذلك أن "يا" كما قال الزمخشرى "للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذى يتلوه معنِىٌّ به جداً"(١). و"أى" اسم مبهم لا يحسن السكوت عليه ولابد له من اسم يوضحه ويزيل إبهامه ويكون وصفا له فيقال مثلا : "يا أيها الرجل" والتوضيح بعد الإبهام لون من ألوان التوكيد والتقرير لتشوق نفس السامع حينئذ إلى ما يزيل ذلك الإبهام ويكشف غموضه فإذا ما جاء الموضِّح قرَّ فى النفس وتمكن فيها .

ثم إن "الهاء" المقحمة بين "أى" ووصفها فى نحو "يا أيها الرجل" بمنزلة تكرير حرف النداء، إذ أن "يا" تفيد التنبيه وأُكدت إرادة التنبيه حين جمعوا بينها وبين هاء التنبيه الداخلة على أى"(٢)ومن ثم ففى النداء بـ "يا أيها" من التوكيد ما به يقرُّ المعنى المراد فى نفس السامع وتتمكن دلالته لديه،

هذا: ولم يُكثر النبى ﷺ من النداء بـ "يا أيها" فى أحاديث الجامع الصحيح للترمذى حيث إن عدد ورود هذا الأسلوب فيه هو (إحدى عشرة مرة) فقط

ومن ذلك قوله ﷺ : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللهَ ... "(٣).

وقوله ﷺ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَدَلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ إِشْرَاكاً بِاللهِ ".(٤)

---

(١) الكشاف ١/٤٤.

(٢) ينظر : حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية فى القاهرة ، العدد الثانى عشر، بحث: التوكيد من مظاهره وأسراره فى كتاب سيبويه، د/ أيوب عبد العزيز أيوب ، ص ٣٠٩ ، ٣١٠.

(٣) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الجهاد، باب ما جاء فى طاعة الإمام، رقم ١٧٠٦.

(٤) السابق، كتاب الشهادات ، باب ما جاء فى شهادة الزور ، رقم ٢٢٩٩ .

وقوله ﷺ : "يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ"[1].

وقوله ﷺ : "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللهِ عُرَاةً غُرْلاً"[2].

ففى ندائه ﷺ بهذه الصيغة مزيد تنبيه وإيقاظ للسامع تهيئة له لتلقى ما يأتى بعدها وهو لا شك من الأهمية بمكان كما هو واضح من الشواهد السابق عرضها وإلا لَما والاه ا لنبى ﷺ هذه العناية التى تكسبه فضل توكيد وتمكنه فى النفس فضل تمكن.

ويلاحظ من الشواهد السابقة وغيرها مما لا يتسع المقام لذكره أن النبى ﷺ قد التزم فيها جميعاً عموم الخطاب وشموله وعدم قصره على جماعة المسلمين فحسب حيث قال فى الجميع : "يا أيها الناس" ولفظ "الناس" عام يشمل كل ما يصدق عليه مسلما أو غير مسلم وفى ذلك تأكيد ضمنى على عالمية رسالة الإسلام، وتقرير أبلغ لسماحته-ﷺ-وحرصه على هداية الناس عامة حتى يكونوا معنيين بخطابه الذى يه يسلكون سبل الرشاد ويهتدون إلى ما فيه نجاتهم وفوزهم.

سابعا: حروف الصلة :

من مؤكدات بعض الجملة حروف الصلة أو الحروف الزائدة، وهى [الباء ، مِنْ ، ما ، لا ، أنْ ، إنْ الكاف، اللام] [3].

و تسمية هذه الحروف بالزائدة لأن بناء الجملة يتم بدونها وهى ليست بزائدة فى المعنى وهذا هو المعول عليه إذ أن وجودها يفيد الكلام فائدة لا تتم له بدونها.

وفائدتها فى الكلام إما معنوية أو لفظية :

فأما فائدتها المعنوية: فهى التوكيد. وأما فائدتها اللفظية : فهى تزيين اللفظ وجعل الكلام أسهل لفظاً وأجمل إيقاعاً.

---

(١) الجامع الصحيح للترمذى ، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء فى صفة أوانى الحوض، رقم ٢٤٨٥ .

(٢) السابق، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنبياء عليهم السلام، رقم ٣١٦٧، وغُرلا بمعنى غير مختونين كما خُلقوا أولا، إذ الأغرل هو من بقيت غرلته وهى الجلدة التى يقطعها الخاتن من الذكر، أو القُلفة . ينظر: تحفة الأحوذى ١٤٢/٨، ولسان العرب مادة [غرل]

(٣) ينظر: شرح المفصل ١٢٨/٨، أساليب التوكيد فى القرآن الكريم ص ٣٥٥.

وتجتمع هاتان الفائدتان فى الحروف الزائدة ولا يجوز خلوها من الفوائد اللفظية والمعنوية معاً وإلا عُدت عبثا ولا يجوز ذلك فى كلام الفصحاء ولاسيما كلام الله ــ تعالى ــ وأنبيائه ــ عليهم السلام[1].

والتأكيد المستفاد من الحروف الزائدة هو حجر الزاوية والذى عليه مدار البحث وهو من مقتضيات الحال بمعنى أن المقام حين يقتضى التأكيد فى حال إنكار أو غرابة الحدث أو جلاله وجاء الأسلوب عاريا عن التأكيد ضاعت البلاغة وفقد الكلام فائدته التى من أجلها أُنشئ[2].

وعن التأكيد بحروف الصلة أو الحروف الزائدة فى بيانه-ﷺ-فى الجامع الصحيح للترمذى فعدد ورود ذلك هو (سبع وخمسمائة مرة) وهو عدد كبير ومن ثم فكثرة التعبير بهذه الحروف، والقصد إليها بغرض التوكيد سمة من سمات بيانه-ﷺ-فى جامع الترمذى، ولعل هذه الكثرة مما يُستدل بها على فائدة هذه الحروف، وأنها لا يُؤتى بها عبثاً بل لغرض هى حقيقة به يفوت بفواتها فضلا عن أن هذا العدد وارد فى كلامه-ﷺ-وهو أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء، مُنزَّه عن الخطأ والعبث .

ولقد تفاوتت مرات القصد إلى حروف الصلة أو الزيادة فى جامع الترمذى كثرة وقلة حسب الحاجة والداعى إليها، وأكثرها وروداً (الباء) حيث أُكد بها مائتان وخمس وسبعون مرة، ثم (لا) أُكد بها مائة وأربعون مرة، ثم (مِنْ) أُكد بها خمس وستون مرة، ثم (الكاف) أُكد بها تسع عشرة مرة، ثم (اللام) أُكد بها سبع مرات فقط، ثم (ما) أُكد بها مرة واحدة فقط، وأما (إنْ ، وأنْ) من حروف الصلة فلم يُؤكّد بهما ولم أعثر لهما على شواهد فى أحاديث الجامع الصحيح للترمذى.

وفيما يلى بيان لمقامات التوكيد بهذه الحروف كل على حده، وخصائص كل حرف منها فى بيانه ﷺ فى جامع الترمذى:

(أ) **الباء** :

الباء أحد حروف الصلة وهى حرف يدخل فى الكلام للتأكيد، وهى أيضاً أكثر حروف الصلة وروداً فى بيانه-ﷺ-فى جامع الترمذى، وذلك أن عدد ورودها فيه مزيدة للتوكيد هو

---

(١) ينظر: أساليب التأكيد فى اللغة العربية، د/ إلياس ديب، ص ٢٩٠ نشر دار الفكر العربى ، بيروت.

(٢) ينظر: فى البلاغة القرآنية، د/ صبّاح عبيد دراز، ص ٢٦٨،ط ١ ، سنة ١٩٨٢م.

(مائتان وخمس وسبعون مرة) ، ولقد تنوعت مواقع زيادتها تبعا لمقتضى الحال ورغبته ﷺ في توكيد دلالة لفظةٍ بعينها وتقرير مرادها في نفس السامع .

فجاءت مرة مزيدة في الفاعل عناية به نحو قوله ﷺ

"... وَمَا زَادَ رَجُلاً بِعَفْوٍ إِلَّا عِزّاً..."(١).

وأخرى مزيدة في المفعول نحو قوله ﷺ :

"مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ لَهُ عَدْلُ مُحَرَّرٍ"(٢).

ومرة مزيدة في المبتدأ نحو قوله ﷺ :

"... بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِ أَنْ يَحْتَقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ"(٣).

ومرة مزيدة في خبر المبتدأ نحو قوله ﷺ :

"... وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ..."(٤).

وتارة مزيدة في خبر إنَّ نحو قوله ﷺ :

"إِنَّ فِي حَوْضِي مِنَ الأَبَارِيقِ بِعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ"(٥).

وأخرى مزيدة في خبر ليس نحو قوله ﷺ :

"لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ....."(٦).

ومرة في خبر ما النافية نحو قوله ﷺ حينما سأله جبريل عليه السلام عن وقت الساعة وقد جاءه في صورة رجل :

"مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ"(٧).

---

(١) الجامع الصحيح للترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التواضع رقم ٢٠٢٩.

(٢) السابق، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله، رقم ١٦٣٨.

(٣) السابق، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم، رقم ١٩٢٧.

(٤) السابق، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ما له من الأجر، رقم ٢٩١٠.

(٥) السابق، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في صفة الحوض، رقم ٢٤٤٢.

(٦) السابق، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في صلة الرحم، رقم ١٩٠٨.

(٧) السابق، كتاب الإيمان، باب ما جاء في وصف جبريل للنبي ﷺ، الإيمان والإسلام، رقم ٢٦١٠.

فالغرض من زيادة الباء فى كل ما تقدم هو تأكيد معنى ما دخلت عليه ولفت انتباه السامع إليه من خلال ظهور عناية المتحدِّث به بإقحام لفظهِ حرفا يصح معناه بدونه وهو الباء، وتحصل بزيادته فيه فائدة التوكيد (إذ أن زيادة الباء وغيرها من حروف الصلة تقوم مقام إعادة الكلام مرة أخرى، ويجد العارف بأسرار اللغة نفسه بزيادتها أو غيرها على معنى بخلاف ما يجده بنقصانها) (١).

وعن مقامات التوكيد بالباء الزائدة فى بيانه ﷺ فى جامع الترمذى فلم تتساوى أعدادها بناء على حاجة كل مقام إلى هذا النوع من التوكيد، فنرى أن مقام العبادات قد أكد ﷺ حديثه فيه بالباء الزائدة (إحدى وتسعين مرة) ومن ذلك قوله ﷺ :

"صَلاَةُ الجَمَاعَةِ تَفْضُلُ عَلَى صَلاَةِ الرَّجُلِ وَحْدَهُ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً"(٢).

وفى مقام العادات: أكد ﷺ حديثه فيه بالباء الزائدة (مائة وثلاث عشرة مرة) ومن ذلك قوله -ﷺ- " يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ عَلَيْكُمْ بِالبَاءَةِ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمَ البَاءَةَ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ ...." (٣).

وفى مقام الغيبيات: أكد ﷺ حديثه بالباء الزائدة (إحدى وسبعين مرة) ومن ذلك قوله -ﷺ- فى بيان صفة المولى -سبحانه- تقريراً لكذب الدجال "... وَإِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ"(٤).

والسر فى كثرة زيادة الباء بغرض التوكيد فى مقام الحديث عن العادات يرجع إلى ملاءمة التوكيد بها لحاجة هذا المقام من حيث بساطتها بالنظر إلى غيرها من أساليب التوكيد وطرقه، ثم إنه حين تعظم إرادة التوكيد ينضم إليها من المؤكدات ما به يبلغ المتحدث مراده من تمكين المعنى فى ذهن السامع وتقرير دلالته لديه.

---

(١) ينظر : الإتقان ٣/١٩٦.

(٢) ينظر : ص٤٤ من البحث .

(٣) ينظر : ص١٦٧ من البحث .

(٤) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الفتن، باب ما جاء فى علامة الدجال، رقم ٢٢٣٥.

(ب): لا:

من مؤكدات بعض الجملة "لا" الزائدة، وغرض زيادتها هو تأكيد النفى نحو (ما يستوى زيد ولا عمر) فـ "لا" زيدت لتوكيد النفى بـ "ما" لأنه يشمل عمراً بالعطف على زيد قبل دخول "لا"[1].

وتزداد "لا" مع الواو بعد النفى كقوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾[2]، وبعد "أنْ" المصدرية كقوله تعالى ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾[3]، وقد تزداد قبل القسم نحو قوله -تعالى- ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾[4].

وبالنظر فى أحاديث النبى -ﷺ- فى الجامع الصحيح للترمذى تبين لى أن "لا" لم تأت مزيدة فيه إلا مع الواو بعد النفى وشواهد ذلك تبلغ (مائة وأربعين مرة) تختلف مقاماتها وتتحد فى الغرض الذى من أجله زيدت "لا" وهو توكيد النفى والمبالغة فى تقرير إرادته، فنجد أن مقام الحديث عن العبادات وردت "لا" مزيدة فيه (خمسا وثلاثين مرة) ومن ذلك قوله -ﷺ- فى تقرير غفلة الناس عن العبادة: "مَا رَأَيْتُ مِثْلَ النَّارِ نَامَ هَارِبُهَا، وَلَا مِثْلَ الجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا"[5].

وفى مقام الحديث عن العادات وردت "لا" مزيدة فيه (تسعاً وسبعين مرة) ومن ذلك قوله -ﷺ-:

"لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الفَاحِشِ، وَلَا البَذِيءِ"[6].

---

(١) ينظر: الجنى الدانى فى حروف المعانى صـ ٣٠١.

(٢) سورة فصلت، (٣٤).

(٣) سورة الحديد، (٢٩).

(٤) ينظر: البرهان ٣/٧٨-٨٠، والآية الأخيرة من سورة المعارج رقم (٤٠).

(٥) الجامع الصحيح للترمذى كتاب صفة جهنم، باب ما جاء أن للنار نفسين وما ذكر من يخرج من النار من أهل التوحيد، رقم ٢٦٠١.

(٦) السابق، كتاب البر والصلة، باب ما جاء فى اللعنة، رقم ١٩٧٧.

وفى مقام الحديث عن الغيب وردت "لا" مزيدة فيه (ستا وعشرين مرة) ومن ذلك قوله -ﷺ-:

"يَأْتِى الدَّجَّالُ المَدِينةَ فَيَجِدُ المَلَائِكَةَ يَحْرُسُونَهَا، فَلَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلَا الدَّجَّالُ إِنْ شَاءَ اللهُ"(١).

فـ "لا" حرف يزاد فى الكلام بغرض توكيد النفى ومن خصائص التوكيد بها فى جامع الترمذى كثرة ورودها فى مقام الحديث عن العادات كما وضح من الإحصاء السابق وذلك نظراً لغلبة طابع التصحيح والتقويم حين الحديث عن العادات لقيامها على موروث قديم كان فى أغلبه منافياً لروح الإسلام ومنهجه ومن ثم كثر التعبير بالنفى لكل مناف لتعاليم الدين الجديد وتوكيد إرادة النفى وتقريرها عن طريق زيادة "لا" وتكريرها زائدة مع كل ما يراد نفيه كما وضح من خلال الشواهد السابق عرضها.

(جـ)مِنْ:

من مؤكدات بعض الجملة "مِنْ" المزيدة بغرض التوكيد، ولجواز زيادتها ثلاثة شروط: الأول: أن يتقدمها نفى نحو "وما تسقط من ورقة إلا يعلمها" أو نهى نحو "لا يقم من أحد" أو استفهام بهل نحو "فَارْجِعِ البَصَرَ هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ"، الثانى: أن يكون المجرور بها نكرة نحو (ما جاءنى من أحد)، الثالث: أن يكون مجرورها لفظاً مرفوعاً محلاً على أنه مبتدأ أو فاعل، أو مفعول به نحو (ما فى البيت من أحد) و (ما جاءنى من أحد) و (ما رأيت من أحد) (٢).

وفى حديث النبى -ﷺ- فى جامع الترمذى وردت "مِنْ" زائدة للتوكيد (خمسا وستين مرة) مع تعدد مقامات التوكيد بها واختلافها كثرة وقلة حسب الحاجة والداعى كما يلى:

فى مقام الحديث عن العبادات: زيدت "مِنْ" للتوكيد (أربع عشرة مرة) ومن ذلك قوله -ﷺ- فى الحث على الصدقة:

"مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ....."(٣).

---

(١) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الفتن، باب ما جاء فى الدجال لا يدخل المدينة، رقم ٢٢٤٢.

(٢) ينظر: مغنى اللبيب صـ ٤٢٥، ٤٢٦- البرهان ٨٢/٣- ضياء السالك إلى أوضح المسالك ٢٥٢/٢، ٢٥٣.

(٣) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب البر والصلة، باب ما جاء فى التواضع، رقم ٢٠٢٩.

وفى مقام الحديث عن العادات: زيدت "مِنْ" للتوكيد (تسع عشرة مرة) ومن ذلك قولـه -ﷺ-: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمَاً غَدْوَةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِي...."(١).

وفى مقام الحديث عن الغيبيات: زيدت "مِنْ" بغرض التوكيد (اثنتين وثلاثين مرة) ومـن ذلك قوله -ﷺ- :

"مَا مِنْكُمْ مِنْ رَجُلٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجَمَانٌ....."(٢).

فـ "مِنْ" تُزاد فى الكلام بغرض توكيد العموم المستفاد من الاسم الداخلة عليه(٣) ومـن هنا تكمن بلاغتها وحاجة المقام إليها وتُفسَّر كثرتها فى مقام الحديث عن أمور الغيب فى بيانه -ﷺ- فى جامع الترمذى كما هو واضح من الإحصاء السابق، وذلك نظراً لكون مقام الحديـث عن الغيب تغلب عليه فكرة العموم، وتعظم إرادتها حين يختص الحديث باليوم الآخر ومشـاهد القيامة من بعث وحساب وميزان وصراط وهكذا، ومن ثم تعظم الحاجة إلى مـا يفيـد توكيـد عموم الخبر المتحدَّث عنه فتحسن زيادة "مِنْ" وتكون بليغة فى مكانها وغيرها لا يسد مسدها.

(د)الكـاف:

من مؤكدات بعض الجملة "الكاف" الزائدة، والكاف حرف له معان أشهرها التشبيه نحـو قوله -تعالى-: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [سورة الرحمـن آيـة (٢٤)] ومنها التوكيد وهى الزائدة وحمل عليه الأكثرون قوله -تعالى- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى، آية (١١)] ولو كانت غير زائدة لزم إثبات المثل وهو محال والقصد بـهذا الكـلام نفيه،

---

(١)الجامع الصحيح للترمذى ، كتاب الجنائز، باب ما جاء فى عيادة المريض، رقم ٩٦٩.

(٢)السابق ، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء فى شأن الحساب والقصاص، رقم ٤٢١٥.

(٣) ينظر: مغنى اللبيب صـ ٤٢٥.

قال ابن جنى: وإنما زيدت لتوكيد نفى المثل لأن زيادة الحرف بمنزلة إعادة الجملة ثانياً[1].

ولقد زيدت الكاف فى بيانه -ﷺ- فى جامع الترمذى (تسع عشرة مرة) خمس عشرة مرة منها فى مقام الحديث عن العبادات ومن ذلك قوله -ﷺ-:

"تَعَلَّمُوا القُرْآنَ واقْرَءُوهُ، فَإِنَّ مَثَلَ القُرْآنِ لِمَنْ تَعَلَّمَهُ فَقَرَأَهُ وَقَامَ بِهِ كَمَثَلِ جِرَابٍ مَحْشُوٍّ مِسْكاً يَفُوحُ رِيْحُهُ فِى كُلِّ مَكَانٍ، وَمَثَلُ مَنْ تَعَلَّمَهُ فَيَرْقُدُ وَهُوَ فِى جَوْفِهِ كَمَثَلِ جِرَابٍ وُكِئَ عَلَى مِسْكٍ"[2].

وفى مقام الحديث عن العادات جاءت الكاف مزيدة (ثلاث مرات) ومنها قوله -ﷺ-:

"مَثَلُ الَّذِى يَعْتِقُ عِنْدَ المَوْتِ كَمَثَلِ الَّذِى يُهْدِى إِذَا شَبِعَ"[3].

وفى مقام الحديث عن الغيب وردت الكاف مزيدة لتوكيد المعنى (مرة واحدة) وهى قوله -ﷺ- عن أُمَّتِه:

".... وَمَا مَثَلُكُمْ وَالأُمَمِ إِلَّا كَمَثَلِ الرَّقْمَةِ فِى ذِرَاعِ الدَّابَّةِ، أَوْ كَالشَّامَةِ فِى جَنْبِ البَعِيرِ"[4].

فكل شواهد زيادة الكاف فيما سبق وغيره مما لم يتسع المقام لذكره المقصود بها تحقيق معنى التشبيه المستفاد من لفظ "مثل" إذ أن المعنى يستقيم مع حذف الكاف وبذكرها يصير الكلام وكأنه أُعيد ذكره مرة ثانية وذلك على حد قول ابن جنى السابق ذكره.

ومن ثم فللكاف المزيدة فائدة تقوية إلحاق معنى المشبه به للمشبه وإيقاظ السامع وتنبيهه إلى أهمية المعنى المراد، ولعل كثرة زيادتها فى مقام الحديث عن العبادات- كثرة تتسق مع عدد ورودها فى جامع الترمذى- ترجع إلى رغبته -ﷺ- فى تقرير معنى العبادة المتحدث عنها نظراً لما لمقام العبادة من خصوصية تقتضى مزيد عناية واهتمام من المتحدث.

---

(١) ينظر: الإتقان ٢/٢١٤- البرهان ٤/٣١٠- ضياء السالك ٢/٢٦٦.

(٢) الجامع الصحيح للترمذى. كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فى فضل سورة البقرة وآية الكرسى. رقم ٢٨٧٦.

(٣) السابق، كتاب الوصايا، باب ما جاء فى الرجل يتصدق أو يعتق عند الموت، رقم ٢١٢٣.

(٤) السابق، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحج، رقم ٣١٦٨.

(هـ): اللام:

اللام حرف له معان كثيرة فى لغة العرب ومنها التوكيد وهى اللام الزائدة وهى أنواع منها:

اللام المعترضة بين الفعل ومفعوله كقوله:

وملكتَ مَا بَيْنَ العِرَاقِ ويَثْرِبٍ ... مُلكاً أَجَارِ لِمُسْلِمٍ وَمُعَاهِدِ

ومنها: اللام المسماة بالمقحمة: وهى المعترضة بين المتضايفين نحو قولهم (يَا بُؤْسَ لِلْحَرِبِ) والأصل: يا بؤس الحرب، فأقحمت تقوية للاختصاص،

ومنها: اللام المسماة لام التقوية وهى المزيدة لتقوية عامل ضعف إما بتأخره نحو ﴿هُدىً وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [لأعراف:١٥٤]، أو لكونه فرعا فى العمل نحو "﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج:١٦]

ومنها: اللام الزائدة التى تنصب الفعل المضارع بأن المقدرة إذا وقعت بعد فعلى الإرادة أو الأمر، كقوله -تعالى- ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [النساء ، آية (٢٦)] وقوله ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام ، آية (٧١)] وهذه اللام مختلف فيها فقيل زائدة، وقيل للتعليل[١].

وبالنظر فى أحاديث النبى -ﷺ- فى الجامع الصحيح للترمذى تبين لى أن استعماله -ﷺ- اللام الزائدة بغرض توكيد المعنى وتقريره اقتصر على نوعين فقط من أنواع هذه اللام وهما: اللام المعترضة بين الفعل ومفعوله نحو قوله -ﷺ-:

"..... فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ ...."[٢].

والثانى: اللام المعترضة بين المتضايفين نحو قوله -ﷺ- لِصاحب قبر دخله:

"رَحِمَكَ اللهُ إِنْ كُنْتَ لَأَوَّاهاً تَلَّاءً لِلْقُرْآنِ"[٣].

---

(١) ينظر: مغنى اللبيب صـ ٢٨٤ وما بعدها - البرهان ٣/٨٥، ٨٦.

(٢) الجامع الصحيح للترمذى. كتاب الزكاة، باب ما جاء فى كراهية أخذ خيار المال فى الصدقة، رقم ٦٢٥.

(٣) السابق، كتاب الجنائز، باب ما جاء فى الدفن بالليل، رقم ١٠٥٧.

ثم إن شواهد هذين النوعين من اللام الزائدة فى جامع الترمذى (سبعة شواهد) ولعل قِلة التوكيد بها مما يتميز به بيانه -ﷺ- فيه وذلك نظراً لتعدد أنواع اللامات من جهة، وعدم اقتضاء المقام -غالباً- التعبير باللام الزائدة والاستعاضة عنها فى التقرير بغيرها من أساليب التوكيد الأخرى، ثم إن أنواعا منها مختلف فيها بين كونها زائدة أو غير زائدة كما سبق أن أوضحت.

(و) **مـا**:

"ما" من حروف الصلة التى يُؤتى بها للتوكيد وتُزداد فى مواضع أهمها:

١-إذا وقعت بعد شرط جازم نحو (إما تزرنى أزرك) .

٢-إذا وقعت بعد شرط غير جازم نحو قوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ . . . . . ﴾، [التوبة: ١٢٧].

٣-إذا وقعت بعد حروف الجر التالية: الباء، عن، من، وذلك نحو قوله -تعالى-: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، وقوله تعالى: ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا . ﴾[1] [نوح: ٢٥]

وبالنظر: فى أحاديث النبى -ﷺ- فى جامع الترمذى لم أجد من شواهد زيادة (ما) للتوكيد غير شاهد واحد فقط زيدت فيه (ما) بعد شرط غير جازم وهو إذا فى قوله -ﷺ-:

"إِذَا مَا وَقَعَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِطْ ، عَنْهَا الأَذَى وَلْيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ"[2].

ومن ثم فـ "ما" من حروف الصلة التى يندر استعمالها والتوكيد بها فى جامع الترمذى ولعل ذلك من سمات بيانه -ﷺ- فيه.

---

(١) ينظر: مغنى اللبيب صـ٣٩٤ - شرح المفصل ٨/١٣٠، ١٣١- رصف المبانى صـ ٣١٥، ٣١٦- أساليب التأكيد فى اللغة العربية صـ٣٠٤.

(٢) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الأطعمة، باب ما جاء فى اللقمة تسقط، رقم ١٨٠٣.

المبحث الرابع

خصائص التوكيد بغير أداة فى أحاديث الجامع الصحيح للترمذى

المبحث الرابع

خصائص التوكيد بغير أداة فى أحاديث الجامع الصحيح للترمذى

المطلب الأول

التوكيد فى علم المعانى

أولاً: المجاز العقلى:

المجاز العقلى: من ألطف أبواب البلاغة وأدقها وأعظمها أثراً فى النفس ومن ثم استحق أن يقول عنه الإمام عبد القاهر: "وهذا الضرب من المجاز على حِدَّته كنز من كنوز البلاغة، ومادة الشاعر المفلِق والكاتب البليغ فى الإبداع والإحسان والاتساع فى طُرق البيان، وأن يجئ بالكلام مطبوعاً مصنوعاً، وأن يضعه بعيد المرام قريبا من الأفهام" (١)

والقصد إلى التعبير بالمجاز لابد وأن يكون لتحقيق معنى يقصده المتكلم وإلا كان ضرباً من العبث، ومن مقاصد التعبير بالمجاز العقلى تقرير إرادة معنىً ما من خلال التجوز فى الإسناد مبالغة فى تحققه من ملابسه المسند إليه على سبيل المجاز، والرسول -ﷺ- يتخذ من أسلوب المجاز العقلى وسيلة لتقرير المعنى فى نفس السامع وتوكيد دلالته لديه لما له من أثر فى لفت الانتباه وإيقاظ الحس عن طريق التجوز فى الإسناد وهو ما يفطن إليه السامع ويدرك من خلاله أهمية المعنى المراد فيعيره من الاهتمام ما به يرسخ فى ذهنه وتعظم فائدته منه.

وشواهد المجاز العقلى فى أحاديث الجامع الصحيح للترمذى. التى يُقصد بها توكيد المعنى وتمكينه فى النفس. تبلغ (أربعة وعشرين شاهداً) وهى فى أماكنها نجوم مضيئة فى سماء صافية، تسحر العيون، وتخلب العقول، وتأسر القلوب لما يضفيه المجاز العقلى على الأسلوب من جلال وجمال ويكسبه من التوكيد ما به تتم فائدة الكلام وتعظم دلالته فى النفس.

---

(١) دلائل الإعجاز صـ٢٩٥.

وعن علاقات المجاز العقلى فى جامع الترمذى أذكر أن اثنين من شواهده علاقة المجاز فيهما الجزئية وهما قوله -ﷺ-:

"سَجَدَ وَجْهِى لِلَّذِى خَلَقَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ"(١)

ونفس الأسلوب فى موضع آخر وهو قوله -ﷺ-:

"اللَّهُمَ لِكَ سَجَدتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِى لِلَّذِى خَلَقَهُ فَصَوَّرَهُ...."(٢)

ففى إسناد السجود للوجه خاصة من بين الأعضاء التى تُتَمِّم فعله تأكيد لمعنى العبودية والخضوع للخالق وحده إذ أن الوجه أشرف أجزاء الجسم وسجوده أعظم دلائل العبودية وآكدها ومن ثم خصه-ﷺ- بإسناد السجود إليه على سبيل المجاز العقلى.

والشواهد الباقية وعدها (اثنان وعشرون شاهداً) علاقة المجاز العقلى فيها السببية ومن ذلك قوله -ﷺ-:

"شَيَّبَتْنِى هُودٌ، وَالوَاقِعَةُ، وَالمُرْسَلَاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ"(٣)

حيث أسند ﷺ فعل الشيب المراد به ظهور الضعف قبل أوان الكبر إلى سببه وهو هذه السور المذكورة لما فيها من أهوال يوم القيامة والمثلات النوازل بالأمم الماضية (٤) وفى ذلك مبالغة فى تقرير شدة آيات هذه السور وعِظم أثرها فى نفس من يتدبرها.

وكذا قوله -ﷺ-:

"المُسْتَهْتَرُونَ فِى ذِكْرِ اللهِ يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُم أَثْقَالَهُمْ...."(٥)

فقد أسند ﷺ وضع الأثقال والأوزار عن أصحابها إلى سببه وهو ذكر الله تعالى- توكيداً وتقريراً لفضل الذكر بتصويره فاعلاً لوضع الذنوب ومحوها حثاً على التزامه والشغل به.

---

(١) الجامع الصحيح للترمذى. كتاب الجمعة، باب ما يقول فى سجود القرآن، رقم ٥٨٠.

(٢) السابق، كتاب الدعوات، باب ما جاء فى الدعاء عند افتتاح الصلاة بالليل، رقم ٣٤٢١.

(٣) السابق، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة الواقعة، رقم ٣٢٩٧.

(٤) ينظر: تحفة الأحوذى ٢٨٢/٨.

(٥) الجامع الصحيح الترمذى ، كتاب الدعوات، باب فى العفو والعافية، رقم ٣٥٩٦، : والمُسْتَهْتَرُونَ الذين أولعوا بالذكر وانشغلوا به، ينظر: تحفة الأحوذى ١١٠/٩.

فهذه شواهد للمجاز العقلى قصد بها توكيد المعنى المراد وتقرير دلالته فى النفس عن طريق التجوز بإسناد الفعل إلى ملابسه لا إلى فاعله الحقيقى لما للملابس أو الفاعل المجازى وهو السبب الظاهر للفعل من أثر بالغ فى إحداثه وإيجاده ومن ثم عظمت دلالته وصح إسناد حدوث الفعل إليه ليقر لدى السامع أهمية السبب المذكور وتتمكن فى نفسه دلالته.

"وهكذا يتخذ النبى -ﷺ- من أسلوب المجاز العقلى وسيلة يقرر بها معانى الدين ومحاسن الشريعة، ويؤكد أمرها فى النفوس تأكيداً يحببها إليها لأنه يخاطبها مخاطبة الحبيب والرفيق خطاباً يجوس سحره فى خفاياها، ويجول سره فى طواياها، فلا تنفر منه هاربة ولا تتقبله كارهة تقبلها لقانون وضعه الإنسان للإنسان يخاطبه جافاً غليظاً خطاب الحاكم للمجرم لا حانيا ناصحاً، خطاب الواعظ للمخطئ، وفى كل بيانه الحكيم-عليه السلام-نلمس القدرة المعصومة من الزلل، والجمال الصادف عن النقد، والحكم بالكمال الفنى لا يُستدرك عليه بالاستثناء إلا تأكيداً لمدحه وتوثيقاً لتأثيره"(١).

ثانياً: التوكيد بالقصر:

"القصر خصوصية تعرض للتراكيب فتصبغها بظلال من المعانى الخاصة، وتجعلها تؤدى الأغراض التى يبغى المرسل إيصالها إلى المتلقى وتأخذ مسارها المؤثر فى النفس داعية العقول للاقتناع والقلوب للاستجابة"(٢) وهو بطرقة الست [العطف بلا، أو بل، أو لكن – النفى والاستثناء- إنما- التقديم- التعريف بأن الجنسية لأحد طرفى الإسناد أولهما معاً- توسط ضمير الفصل بين المسند والمسند إليه] من مؤكدات المعانى ومن ثم فله دور هام فى تحقيق الإقناع العقلى والإمتاع الوجدانى (إذ أن تخصيص أحد الطرفين بالآخر، وكون أحدهما مختصاً بصاحبه لهو ألزم وألصق من كونه متصفاً بملابسته اتصافاً مطلقا) (٣).

(ولو أننا رتبنا أساليب التوكيد وأدواته ترتيبا تصاعدياً حسب قوة التأكيد لكان القصر قمة وغاية وذلك أنه تأكيد فوق تأكيد نظراً لاشتماله على جملتين فهو تركيز شديد فى الأسلوب(٤).)

---

(١) الحديث النبوى الشريف من الوجهة البلاغية، صـ٢٢٦.

(٢) دراسات فى علم المعانى. د/حسن مخيمر، د/الشحات محمد أبو ستيت صـ٧٠ ط ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٣) ينظر: الحديث النبوى الشريف من الوجهة البلاغية صـ١٢٩، ١٣٠.

(٤) ينظر: أساليب القصر فى القرآن الكريم وأسرارها البلاغية ، د/صبّاح عبيد دراز، صـ٩، ط١، مطبعة الأمانة.

وحتى يتم للمتكلم مراده، ولكى يكون كلامه مطابقا لمقتضى الحال عليه أن يختار من طرق القصر حال تعبيره الطريق الذى يحدده المقام وتستدعيه الحاجة، ورسول الله -ﷺ- خير من يقدر للأمور قدرها ويحسب للأشياء حسابها ومن ثم يجد الناظر فى أحاديثه -ﷺ- فى جامع الترمذى تنوع طرق القصر واختلاف سبله حسب مقام كل حديث وحسب حاجة المتلقى كذلك، ولكل من طرق القصر فى جامع الترمذى مقاماته التى غلب استعماله فيها نظراً لتحقيقه غاية المتكلم وملاءمته حال السامع وبيان ذلك فيما يلى:

(أ)**القصر بطريق العطف بـ (لا، بل، لكن)**:

طريق القصر بـ (لا، وبل، ولكن) هو أقوى طرق القصر وأوضحها فى إفادة معنى القصر ومرد ذلك إلى أن الأصل فى هذا الطريق التصريح بالمثبت والمنفى معاً بخلاف غيره وفى ذلك تأكيد لمضمون الكلام وتقرير لدلالته فى نفس السامع[1].

وبالنظر فى أحاديث النبى -ﷺ- فى الجامع الصحيح للترمذى تبين لى قلة استعماله -ﷺ- هذا النوع من القصر وذلك أن المستعمل منه يقدر بـ (خمسة وثلاثين شاهداً) أربعة منها طريق القصر فيها العطف بـ(لا) ومنها قوله -ﷺ- لمن ينهاه عن الالتفات فى الصلاة:

"... فَإِنْ كَانَ لَابُدَّ فَفِى التَّطَوُّعِ لَا فِى الفَرِيضَةِ"[2]

وواحد وثلاثون شاهداً طريق القصر فيها هو العطف بـ (لكن)، وأما (بل) فلم أجد لها شاهداً فى بيانه -ﷺ- فى جامع الترمذى.

ولعل السر فى قلة استعماله -ﷺ- طريق العطف فى إفادة القصر باستثناء (لكن) التى سأتناولها بالتفصيل فيما بعد ما قيل من أن هذا الطريق إنما يكثر استعماله فى خطاب غير العرب وذلك أن العرب يلمحون إشارات الكلام قبل عباراته بل إنهم قد يحذفون بعض الكلام وربما بعض الجمل من أحاديثهم إن دل الدليل عليها[3].

---

(١) ينظر: الإيضاح ٣/٣٠-شروح التلخيص ٢/١٨٦ وما بعدها- دلائل الإعجاز صـ٣٣٥- بلاغة القصر صـ١٢٢- علم المعانى دراسة فنية تحليلة د/فريد محمد بدوى النكلاوى صـ٣١.

(٢) الجامع الصحيح للترمذى. كتاب الجمعة، باب ما ذكر فى الالتفات فى الصلاة، رقم ٥٨٩.

(٣) ينظر: بلاغة القصر صـ١٢٢.

ولقد أشار الجاحظ إلى هذا المعنى حين قال: "ورأينا الله -تبارك وتعالى- إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحى والحذف، وإذا خاطب بنى إسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطاً وزاد فى الكلام"(١).

والنبى -ﷺ- ليس بمنأى عن ذلك فهو أعلم أهل اللغة بها كما أن حديثه -ﷺ- إنما هو للمتحدثين بالعربية فى المقام الأول ولا يغض ذلك من عالمية رسالته - ﷺ- وأن حديثه موجه إلى كل طوائف البشر.

وعن تفصيل القول فى القصر بطريق العطف بـ ، "لكن" أكثر أدوات العطف وروداً فى جامع الترمذى كما سبق أن بينت، فالواقع أن "لكن" وإن كثر ورودها عن غيرها من طرق العطف إلا أنها كثرة غير مستوفية فيها شروط العطف بها فى إفادة القصر وذلك حيث جاءت فى أكثر شواهدها مقترنة بالواو وهذا الاقتران يخرجها عند بعض البلاغيين من القصر(٢) وإن كان هذا الشرط ترده الأساليب الفصيحة ومنها أحاديث النبى -ﷺ- الواردة بذلك.

وأما مقامات القصر بالعطف بـ" لكن" فى جامع الترمذى فلقد تنوعت واختلفت حسب اختلاف مقتضيات الحال وتنوع موضوعات ورودها، ذلك أن مقام الحديث عن العبادات ورد التوكيد بالقصر بـ "لكن" فيه (إحدى عشرة مرة) ومن ذلك قوله -ﷺ-:

"إِذَا كُنْتَ فِي الصَّلَاةِ فَلَا تَبْزُقْ عَنْ يَمِينِكَ وَلَكِنْ خَلْفَكَ، أَوْ تِلْقَاءَ شِمَالِكَ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِكَ الْيُسْرَى"(٣)

وفى مقام الحديث عن العادات ورد التوكيد بالقصر بـ "لكن" (اثنتى عشرة مرة) ومن ذلك قوله -ﷺ-:

"لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ"(٤)

---

(١) الحيوان، للجاحظ، ت/ عبد السلام هارون، ٩٢/١، ط٢ مطبعة الحلبى.

(٢) ذلك أنه قد اشترط البلاغيون فيها أن يتقدم عليها نفى أو نهى، وأن يكون ما بعدها مفرداً، وزاد البعض شرطاً ثالثاً وهو ألا تقترن بالواو قبلها، وذلك لأن أكثر النحويين سلبوا منها معنى العطف عند اجتماعها مع الواو. فقيل: إن الواو هى العاطفة، وقيل: "لكن" هى العاطفة والواو زائدة. ينظر: الأساليب الإنشائية فى النحو العربى، د/عبد السلام هارون صـ١٢٥ ط٢- بلاغة القصر صـ١٣٤.

(٣) الجامع الصحيح للترمذى. كتاب الجمعة، باب ما جاء فى كراهية البزاق فى المسجد، رقم ٥٧١.

(٤) السابق، كتاب الزهد، باب ما جاء أن الغنى غنى النفس، رقم ٢٣٧٣.

وفى مقام الحديث عن الغيب ورد التوكيد بالقصر بـــ "لكن" (ثمانى مرات) ومن ذلك قوله -ﷺ-

"إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدْ انْقَطَعَتْ فَلَا رَسُولَ بَعْدِى وَلَا نَبِى. لَكِنْ الْمُبَشِّرَاتُ.."[1]

فتنوع مقامات التوكيد بـــ"لكن" كما وضح مما سبق يحقق القول بأن التوكيد بالقصر بها لم يختص بمقام معين وأن الداعى إلى التوكيد بهذا الطريق هو ما يفيده من التصريح بـــالمنفى والمثبت معا فى سياق واحد وما فى ذلك من مبالغة فى توضيح المراد وزيادة تأكيده وتقريـــره فى النفس إذ بعد توجيه النفى إلى غير المراد يشتاق السامع إلى معرفة المعنى المراد إثباتـــه بـــ "لكن" ومن ثم يقر فى ذهنه ويتأكد لديه.

فـــ "لكن" يُستدرك بها على المخاطب فهمه الخاطئ ثم يُصرح له بصوابه بما لايدع لـــه مجالاً للشك فيه نظراً لقوة تأكيده وكمال وضوحه حينئذ.

ولعل سر كثرة التوكيد بالقصر بـــ "لكن" فى مقامى العبادات والعادات هو حاجة هذيـــن المقامين إلى مزيد بيان وفضل توضيح يترتب عليه التزام المخاطب بالمعنى المـــراد والســـير حسب ما يوجِّه إليه (إذ أن موضوع القصر بالعطف- أخص بالذكر (لكن) هنا- حيـــث يكـــون موطن الهدوء والاطمئنان حين يوضح المعنى توضيحاً وئيداً يُحتاج معه إلى التأنى) [2] كى تقر دلالته ويرسخ مراده فى ذهن السامع رسوخاً يحمله على التزام المراد وكمال تطبيقه، كما أنـــه فى مقام العادات أكثر ما يكون المعنى الأول المراد نفيه هو الراسخ فى الذهن ومن ثـــم كـــثر الإتيان معه بطريق العطف بـــ (لكن) ليؤكد تغييره ويقرر المعنى المراد تثبيته.

(ب)**القصر بطريق النفى والاستثناء:**

"طريق النفى والاستثناء أقوى طرق القصر فى إفادة التخصيص وتـــأكيد المعنـــى لأنـــه صريح فى النص على المنفى والمثبت كليهما ولذلك ورد كثيراً فى القرآن الكريم فى مقام الرد على الجاحدين والمكذبين، وجرى عذباً مستساغا فى الحديث الشريف وعيون الشعر والنثر"[3]

وجامع الترمذى حافل بهذا النوع من القصر إذ يجد المطالع له أن شـــواهده فيـــه مـــن الكثرة بحيث تسترعى الانتباه وتدعو إلى تأملها واستعادتها بحثاً عن سرها ودواعـــى القصـــد

---

(١) الجامع الصحيح للترمذى. كتاب الرؤيا، باب ذهبت النبوة وبقيت المبشرات، رقم ٢٢٧٢.

(٢) ينظر: البلاغة النبوية رسالة دكتوراه، مخطوطة فى كلية اللغة العربية ، القاهرة، د/صبـــاح عبيـــد دراز صـــ ٢٢٠.

(٣) دراسات فى علم المعانى صـــ ٤١.

إليها بهذه الكثرة إذ أن شواهده فيه تبلغ (أربعمائة وأربعة وعشرين شاهداً) فإذا ما وضع المرء أمام عينه طبيعة من خاطبهم النبى -ﷺ- بحديثه أولاً، ثم حاجة الدين الجديد الذى يشتمل على تعاليم وآداب جديدة تخالف ما اعتاده القوم وألفوه فطن إلى سر كثرة التعبير بهذا النوع من القصر وعلم أن الحاجة إليه وداعيه الأول هو مراعاة مقتضى الحال.

ومقامات التوكيد بالقصر بطريق النفى والاستثناء، متنوعة ومختلفة كثرة وقلة حسب طبيعة كل مقام وحاجته إلى التوكيد بهذا الطريق،

فنجد أن مقام الحديث عن العبادات بلغت شواهد التوكيد بالقصر بطريق النفى والاستثناء فيه (مائة وسبعة وخمسين شاهداً) ومن ذلك قوله -ﷺ-:

"إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا صَلَاةَ إِلَّا الْمَكْتُوبَةُ"(١)

وفى مقام الحديث عن العادات بلغت شواهد التوكيد بالقصر بطريق النفى والاستثناء (مائة وستة وعشرين شاهداً) ومن ذلك قوله -ﷺ-:

"لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ"(٢)

وفى مقام الحديث عن الغيبات بلغت شواهد التوكيد بالقصر بطريق النفى والاستثناء (مائة وواحداً وأربعين شاهداً) ومن ذلك قوله -ﷺ-:

" لَاتَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمَاً نِعَالُهُمُ الشَّعْرُ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمَاً كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ"(٣).

فلقد وضح مما سبق عرضه من حصر لأعداد التوكيد بالقصر بطريق النفى والاستثناء فى أحاديث الجامع الصحيح للترمذى تقارب أعداد وروده فى مقامات الحديث الشريف، وشيوعه فيها على حد سواء، والسر فى ذلك يرجع إلى أن كلاً من مقامى العبادات والعادات كلاهما يختص الحديث فيهما بتجديد قيم المجتمع واعتقاداته المخالفة لروح الدين الجديد، وحث الناس على التزام تعاليمه وما جاء به، ومن ثم يتطلب الحديث حينئذ حسماً وتحديداً يتوافران للأسلوب من خلال القصر بطريق النفى والاستثناء لتميزه بذلك،

---

(١) الجامع الصحيح للترمذى كتاب الصلاة، باب ما جاء إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة، رقم ٤٢١.

(٢) السابق، كتاب النكاح، باب ما جاء لا نكاح إلا بولى، رقم ١١٠١.

(٣) السابق، كتاب الفتن، باب ما جاء فى قتال الترك، رقم ٢٢١٥.

كما يتطلب الحديث عن تعاليم الدين الجديد وعاداته إقناع المخاطب بها وتقريرها فى نفسه تمهيداً للعمل بما تقتضيه وأسلوب القصر بطريق النفى والاستثناء جدير بتحقيق هذا الهدف أيضا.

كما أن تعاليم الدين الجديد وعاداته أمور جديدة بالنسبة لمن يدينون به وربما تخطر لهم خطرات أخرى بالزيادة أو النقص أو التعديل ومن ثم يجئ توكيدها بأسلوب القصر بطريق النفى والاستثناء بمنزلة حاجز أمام أى تفلت أو اجتهاد من شأنه تغيير المراد، أو انتقاصه أو الزيادة عليه.

وأما عن كثرة التوكيد بالقصر بطريق النفى والاستثناء فى مقام الحديث عن الغيب- أيضا- وخاصة منه ما يتعلق بالإخبار عن أحداث المستقبل، ومشاهد القيامة فذلك لكون الغيب مظنة الشك أو الإنكار ومن ثم كان لتوكيده بهذا الأسلوب دور هام فى تحقيق ما يهدف إليه النبى -ﷺ- من إقناع السامع وحمله على التصديق، إذ القصر بهذا الطريق هو أكثر أساليب التوكيد تلاؤما وتناسبا مع هذا المقام، وكثرته فيه تعد من خصائص بيانه -ﷺ- فى جامع الترمذى،

ولقد قرر الإمام عبد القاهر حاجة مقام الشك والإنكار إلى مثل هذا الأسلوب المقنع بقوله: "وأما الخبر بالنفى والإثبات نحو (ما هذا إلا كذا) و (إن هو إلا كذا) فيكون للأمر ينكره المخاطب ويشك فيه، فإذا قلت: "ما هو إلا مصيب" أو "ما هو إلا مخطئ" قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلت وإذا رأيت شخصا من بعيد فقلت: "ما هو إلا زيد" لم تقله إلا وصاحبك يتوهم أنه ليس بزيد، وأنه إنسان آخر، ويَجِدُّ فى الإنكار أن يكون زيداً"[1].

(ج)**القصر بـ "إنما"**:

"إنما" من أوضح طرق القصر دلالة على التوكيد نظراً لتركبها من "إنَّ" المشدة المفيدة للتوكيد ، "وما" الزائدة عليها بغرض التوكيد -أيضا- وذلك حسب ما قرره البلاغيون إذ يرون أن دخول "ما" على "إنَّ" يفيد معنى غير ما يستفاد من "إنَّ" وحدها وهو زيادة التوكيد، ولا يقتصر الأمر فى دخول "ما" على "إنَّ" فى إبطالها عملها فقط حسب ما قال به النحويون[2].

---

(١) دلائل الإعجاز صـ٣٣٢.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز صـ٣٥٤- دراسات فى علم المعانى صـ٤٢.

و"إنما" -أيضا- من أبلغ الطرق دلالة على القصر ذلك لأنها تفيد إيجاب الفعل لشئ ونفيه عن غيره دفعة واحدة، فإذا قلت: "إنما جاءنى زيد" عُقل منه أنك أردت أن تنفى أن يكون الجائى غيره، فمعنى الكلام معها شبيه بالمعنى فى قولك: "جاءنى زيد لا عمر" إلا أن لها مزية الإيجاز فى تعيين المراد دفعة واحدة، والإيجاز قوة فى بناء العبارة، وتنشيط للذهن، وتمكين وتأكيد للمعنى فى ذهن السامع، كما أن لها مزية أخرى وهى أنها تفيد المعنى المراد تقريراً ووضوحاً وبياناً لا مزيد بعده[1]

وعن التوكيد بـ "إنما" فى بيانه -ﷺ- فى جامع الترمذى فعدد شواهدها تبلغ (سبعة وسبعين شاهداً) موزعة حسب مقامات الحديث ومقتضيات الأحوال الداعية إلى التوكيد بها كما يلى:

فى مقام الحديث عن العبادات: بلغت شواهد التوكيد بالقصر بـ "إنما" (أربعة عشر شاهداً) ومن ذلك قوله -ﷺ-:

"إِنَّمَا جُعِلَ رَمْىُ الجِمَارِ وَالسَّعْىُ بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ لإِقَامَةِ ذِكْرِ اللهِ"[2]

وفى مقام الحديث عن العادات بلغت شواهد التوكيد بها (واحداً وثلاثين شاهداً) ومن ذلك قوله -ﷺ-:

"إِنَّمَا يَكْفِيكَ مِنْ جَمِيعِ المَالِ خَادِمٌ وَمَرْكَبٌ فِى سَبِيلِ اللهِ"[3].

وفى مقام الحديث عن الغيبيات بلغت شواهد التوكيد بها (اثنين وثلاثين شاهداً) ومن ذلك قوله -ﷺ-:

"إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ..."[4]

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز صـ٣٣٥ - دراسات فى علم المعانى صـ٤٤، ٤٥.

(٢) الجامع الصحيح للترمذى. كتاب الحج، باب ما جاء كيف ترمى الجمار، رقم ٩٠٢.

(٣) السابق: كتاب الزهد، باب ما جاء فى الهم فى الدنيا وحبها، رقم ٢٣٢٧.

(٤) السابق، كتاب الحدود، باب ما جاء فى كراهية أن يشفع فى الحدود، رقم ١٤٣٠.

فإنما تدل على زيادة تأكيد اختصاص المقصور عليه معها بالمعنى المراد إيجابه له مع تقرير إرادة نفيه عن غيره بالفحوى والمفهوم فى إيجاز يكسب العبارة رونقا وبهاءً، وينشر عليها رواءً وظلالاً فضلاً عن توكيده المعنى وتمكينه فى النفس.

ولعل ما تتميز به "إنما" من تحقيق الإيجاز سبب رئيس فى قلة التوكيد بالقصر بها فى مقام الحديث عن العبادات فى جامع الترمذى كما هو واضح من الإحصاء السابق ذكره، وذلك نظراً لأن مقام الحديث عن العبادات يتطلب تفصيلاً وتوضيحاً تكفل بهما بيانه -ﷺ- تقريراً لمعانى العبادة، وبيانا لدقائقها وأسرارها بيانا تعظم به فائدتها، وتُؤدَّى من خلاله على وجهها الأكمل.

(د)**القصر بطريق التقديم**:

التقديم "باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية لا يزال يَفْتَرُّ لك عن بديعة، ويُفضى بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قُدِّم فيه شئ، وحُوِّل اللفظ عن مكان إلى مكان"[1]

(والأديب عندما يقدم شيئاً هو بالقواعد الأسلوبية النمطية مؤخراً يكون بالقطع قد لفت بذلك الأنظار لفتاً قوياً لرؤية ترتيب معانيه وتناسقها ومن ثم كان لهذا الطريق سحره فى توصيل المعانى حيث تتصل عاطفة المتكلم بعاطفة من يستمع إليه إثر لفتة التقديم البارعة)[2]

وبالنظر فى أحاديث النبى -ﷺ- فى جامع الترمذى تبين لى شيوع التعبير فيه بالقصر بطريق التقديم مما يلفت نظر القارئ ويسترعى انتباهه إذ أن عدد شواهد التوكيد بهذا الطريق فيه هو (سبعمائة وثلاثة وعشرون شاهداً) موزعة حسب مقامات الحديث الشريف ومقتضيات الأحوال كما يلى:

مقام الحديث عن العبادات: ورد التوكيد فيه بالقصر بطريق التقديم (مائتين واثنتين وثمانين مرة) ومن ذلك.

قوله -ﷺ-:"**.... إِنَّ اللهَ -تَعَالَى- وَضَعَ عَنِ الْمُسَافِرِ الصَّوْمَ وَشَطْرَ الصَّلَاةِ، وَعَنِ الحَامِلِ أَوْ الْمُرْضِعِ الصَّوْمَ أَوْ الصِّيَامِ**"[3].

---

(١) دلائل الإعجاز صـ١٠٦.

(٢) ينظر: بلاغة القصر ص،١٦٢، ١٦٣.

(٣) الجامع الصحيح للترمذى. كتاب الصوم، باب ما جاء فى الرخصة فى الإفطار للحبلى والمرضع، رقم ٧١٥.

وفى مقام الحديث عن العادات: ورد التوكيد بالقصر بطريق التقديم (مائة وإحدى وأربعين مرة) ومن ذلك قوله -ﷺ- فى حق المدخول بها فى نكاح بغير إذن الولى:

"... فَإِنْ دَخَلَ بِهَا فَلَهَا الْمَهْرُ بِمَا اسْتَحَلَّ مِنْ فَرْجِهَا..."[1]

وفى مقام الحديث عن الغيبيات: ورد التوكيد بالقصر بطريق التقديم (ثلاثمائة مرة) ومن ذلك قوله -ﷺ-:

"يَكُونُ فِى آخِرِ الأُمَّةِ خَسْفٌ، وَمَسْخٌ، وَقَذْفٌ"[2]

فالتقديم له دور هام فى تنشيط الذهن وتهيئته لقبول ما يُلقى عليه، وسره يكمن فى كمال العناية بالمُقدَّم نظراً لاختصاصه بما قُدِّم عليه، فإذا تأملناأسرارتقديمه وجدنا منها الرغبة فى تمكن معنى المُقدَّم فى النفس وتقرر دلالته فيها.

ولقد وضح من الإحصاء السابق لشواهد التوكيد بالقصر بطريق التقديم فى جامع الترمذى كثرة وروده فى مقام الحديث عن الغيب وذلك مما يلائم حاجة هذا المقام ويطابق مقتضاه لما يتطلبه حديث الغيب من تمام يقظة السامع وانتباهه وهو ما يحققه أسلوب التقديم أولاً بإثارة انتباه السامع وشوقه لمعرفة داعى التقديم وسببه.

كما أن حديث الغيب أحوج ما يكون إلى ما يفيد التخصيص ويؤكده وأسلوب التقديم تعظم به الدلالة على اختصاص المُقدَّم بالمراد دون أدنى لبس فى اختصاصه به، ومن ثم كثر القصد إليه فى هذا المقام، وشاع فيه شيوعاً يحسب به من خصائص بيانه -ﷺ- فى جامع الترمذى.

ومن خصائص التوكيد بالقصر بطريق التقديم فى أحاديث الجامع الصحيح للترمذى كثرته فى مقام الحديث عن العبادات -أيضاً- وخاصة فى مقام الدعاء وذلك يرجع إلى حاجة مقام الدعاء إلى تخصيص المدعو - سبحانه- بصفات الجلال والكمال توصلاً إلى قبول الدعاء، ثم رغبة الداعى -ﷺ- فى تأكيد اختصاصه بدعائه الذى يدعو به تعليماً لِأُمته وقصور التقديم يحقق هذا المعنى ويؤكده أبلغ تأكيد.

---

(١) ينظر: ص ١٧٤ من البحث.

(٢) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الفتن، باب ما جاء فى الخسف، رقم ٢١٨٥.

(هـ): **القصر بطريق التعريف:**

من طرق القصر التعريف لأحد ركنى الإسناد أولهما معا بأل الجنسية، فقد رأى البلاغيون أنه إذا عُرِّف كل من الخبر أو المبتدأ بأل الجنسية فيحتمل حينئذ أن يكون المراد قصر ما فيه أل على المجرد منها بغرض تحقيق المبالغة فى تأكيد المراد وذلك نحو (زيد المنطلق) و (المنطلق زيد).

وأما إذا عُرِّف كل من المبتدأ والخبر بأل الجنسية فإن مقام الكلام وغرض المتكلم هما اللذان يحددان أيهما يكون مقصوراً وأيهما يكون مقصوراً عليه وغالبا ما يكون المبتدأ مقصوراً على الخبر نحو (الكرم التقوى) و (التقوى الكرم) [1]، ونحو قوله -ﷺ- : "الحَمْوُ المَوْتُ"[2] فهو من قصر الموصوف (الحمو) على الصفة (الموت) مبالغة فى تأكيد اتصاف المقصور (الحمو) بتلك الصفة زجراً عن السماح بدخول قريب الزوج على امرأة الزوج لما فى ذلك من مفسدة عظيمة.

وعن التوكيد بالقصر بطريق التعريف فى أحاديث النبى -ﷺ- فى جامع الترمذى. فقد تبين لى من خلال الدراسة والمطالعة لأحاديث هذا الجامع أن طريق التعريف أُريد به القصر بغرض توكيد المعنى والمبالغة فى اتصاف المقصور عليه بالمعنى المقصور (ثلاثمائة واثنتين وثلاثين مرة) موزعة كما يلى:

(سبع وتسعون مرة) القصر فيها سببه تعريف الخبر بأل الجنسية وذلك نحو قوله -ﷺ-: ".... فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ"[3]

حيث قصر ﷺ معنى الرباط على المشار إليه المتقدم ذكره من أمور العبادة توكيداً لاختصاصها بالمقصور وكمال حصوله فيها على وجهها المذكور فى الحديث.

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز صـ١٧٩ وما بعدها - حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص ١٠١/٢ - هامش الإيضاح، ت.د/ خفاجى ٤٧/٣ - بلاغة القصر صـ٢٤٤- ٢٥٢- دراسات فى علم المعانى صـ٦٥،٦٦.

(٢) الجامع الصحيح للترمذى. كتاب الرضاع، باب ما جاء فى كراهية الدخول على المغيبات، رقم ١١٧١.

(٣) ينظر: صـ٣٤ من البحث

(ومائتان وعشرون مرة) سبيل القصر فيها تعريف المبتدأ بأل الجنسية، وذلك نحو قوله -ﷺ-:

"الوَقْتُ الأَوَّلُ مِنَ الصَّلَاةِ رِضْوَانُ اللهِ، وَالوَقْتُ الآخِرُ عَفْوُ اللهِ"[1]

حيث قصر ﷺ الوقت الأول للصلاة على كونه رضوان الله -تعالى- تأكيداً على تسببه فى تحصيل رضا الله -تعالى- على من يلتزم بأداء الصلاة فيه ولا يؤخرها عنه،

ثم قصر الوقت الآخر للصلاة على كونه عفو الله -تعالى -تأكيداً على تقصير مَن حاله تأخير الصلاة إلى آخر وقتها (إذ العفو كما قيل لا يكون إلا عن تقصير) [2] ومن ثم فالفضل كل الفضل فى أداء الصلاة فى أول وقتها.

(وخمس عشرة مرة) سبيل القصر فيها تعريف كل من المبتدأ والخبر بأل الجنسية وذلك نحو قوله -ﷺ-:

"البَغَايَا اللَّاتِى يُنْكِحْنَ أَنْفُسَهُنَّ بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ"[3]

فقد قصر ﷺ الوصف بالبغى وهو الزنا على أولئك اللاتى يُنكحن أنفسهن بغير شاهد أو ولى تأكيداً على تحقق الوصف المذكور لمن شأنهن ذلك، وزجراً مبالغاً فيه عن مثل هذا العمل لشناعة ما يحققه للمرأة، وشؤم ما يحصل لها بسببه.

وعن مقامات التوكيد بالقصر بطريق التعريف فى أحاديث الجامع الصحيح للترمذى فالضابط لها هو مقتضى الحال والحاجة لمثل هذا النوع من التوكيد ذلك أن عدد التوكيد به السابق ذكره يختلف من مقام لآخر تبعاً للحاجة الداعية إليه،

فنجد أن مقام الحديث عن العبادات ورد التوكيد فيه بالقصر بطريق التعريف (مائة وأربعاً وعشرين مرة) ومن ذلك قوله -ﷺ- فى مقام الدعاء مُعَرِّفاً الخبر:

"..... اللَّهُمَ أَنْتَ المَلِكُ.... أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ...."[4]

---

(١) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الصلاة، باب ما جاء فى الوقت الأول من الفضل، رقم ١٧٢.

(٢) ينظر: تحفة الأحوذى ١/٣٨٤.

(٣) الجامع الصحيح للترمذى كتاب النكاح، باب ما جاء لا نكاح إلا ببينة، رقم ١١٠٣. والمراد بالبينة: إما الشاهد أو الولى ينظر: تحفة الأحوذى ٣/٥٦٢.

(٤) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الدعوات، باب ما جاء فى الدعاء عند افتتاح الصلاة بالليل، رقم ٣٤٢١.

وقوله -ﷺ- مُعَرِّفاً المبتدأ: "الحَجُّ عَرَفَةٌ ....." [1]

وقوله -ﷺ- مُعرِّفاً الطرفين: "العَهْدُ الَّذِى بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاَةُ....." [2]

وفى مقام الحديث عن العادات ورد التوكيد بالقصر بطريق التعريف (مائة وستين مـــرة) ومن ذلك قوله -ﷺ- مُعرِّفاً الخبر: "أَنَا النَّبِىُّ لاَكَذِبْ...." [3]

وقوله -ﷺ- مُعرِّفاً المبتدأ: "الضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ....." [4]

وقوله -ﷺ- مُعرِّفاً الطرفين فى معرض الحث على التداوى بالحبة السوداء وشفائها كل الأدواء إلا الموت: "وَالسَّامُ المَوْتُ" [5]

وفى مقام الحديث عن الغيبيات ورد التوكيد بالقصر بطريق التعريف (ثمانى وأربعين مرة) ومن ذلك قوله -ﷺ- فى وصف الجنة مُعرِّفاً الخبر:

".... وَمِلاَطُهَا المِسْكُ الأَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالياقُوتُ، وَتُرْبَتُهَا الزَّعْفَرَانُ..." [6]

وقوله ﷺ- مُعرِّفاً المبتدأ: "...وَالفِرْدَوْسُ رَبْوَةُ الجَنَّةِ، وَأَوْسَطُهَا، وَأَفْضَلُهَا" [7]

وقوله -ﷺ- مُعرِّفا الطرفين: "وَالدَّارُ الإِسْلاَمُ، وَالبَيْتُ الجَنَّةُ ...." [8]

فلقد وضح من الشواهد السابق عرضها تنوع مقامات القصر بطريق التعريف مع اتحـاد المعنى المراد من التعبير به وهو توكيد المعنى المراد وتمكين دلالته فى النفس،

---

(١)الجامع الصحيح للترمذى ، كتاب الحج، باب ما جاء فيمن أدرك الإمام بِجَمْعٍ فقد أدرك الحج، رقم ٨٨٩.

(٢) السابق، كتاب الإيمان، باب ما جاء فى ترك الصلاة، رقم ٢٦٢١.

(٣) السابق، كتاب الجهاد، باب ما جاء فى الثبات عند القتال، رقم ١٦٨٨.

(٤) السابق: كتاب البر والصلة، باب ما جاء فى الضيافة وغاية الضيافة إلى كم هى، رقم ١٩٦٨.

(٥) ينظر: صـ١٩ من البحث.

(٦)الجامع الصحيح للترمذى ، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء فى صفة الجنة ونعيمها، رقم ٢٥٢٦.

(٧) السابق، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المؤمنون، رقم ٣١٧٤.

(٨) السابق، كتاب الأمثال، باب ما جاء فى مثل الله لعباده، رقم ٢٨٦٠.

ومن خصائص التوكيد بهذا الطريق فى أحاديث الجامع الصحيح للترمذى قلة وروده فى مقام الحديث عن الغيب نظراً لاقتضاء مقام الحديث عن الغيب قوة فى التوكيد تعمل على إقناع السامع بصدق الخبر المراد الإعلام به مع المبالغة فى تأكيد حصوله ماضيا كان أو حاضراً أو مستقبلاً، وأسلوب القصر بطريق التعريف أقل رتبة من طرق القصر الأخرى فى إفادة التوكيد، (كما أن دلالته على القصر ليست وضعية ولم تُؤخذ من أداة معينة وإنما هى دلالة تُدرك بالذوق من معنى الجنسية المدلول عليها بأل الجنسية، وتُؤخذ من إيحاءات الألفاظ وحواشيها)[1]

(و): **القصر بتوسط ضمير الفصل بين المسند والمسند إليه:**

وأما عن التوكيد بالقصر بطريق توسط ضمير الفصل بين المسند والمسند إليه فالواقع أن هذا الطريق يكثر استعماله فى الجمل الاسمية التى تقع فيها "أل" العهدية مثل "زيد هو المنطلق"،

وأن غرضه هو إفادة التركيز فى تأكيد اختصاص المقصور عليه بالمعنى المراد، وذلك على حد قول الإمام عبد القاهر: "إذا قيل لك: "زيد المنطلق" صار الذى كان معلوماً على جهة الجواز معلوماً على جهة الوجوب، ثم إنهم إذا أرادوا تأكيد هذا الوجوب أدخلوا الضمير المسمى "فصلاً بين الجزئين فقالوا: "زيد هو المنطلق"[2].

ولقد تردد كثير من البلاغيين فى إفادة هذا الطريق القصر، ومن هؤلاء الزمخشرى، وبهاء الدين السبكى[3].

والرأى ما ذهب إليه أحد الباحثين من أن هذا الطريق ليس قوياً فى إفادة القصر على سبيل الوجوب، بل يجوز أن ينزع منه فائدة القصر الاسم الذى بعده- وهو الخبر المقترن بأل- وتكون فائدة الضمير حينئذ هى تأكيد مضمون الجملة لا تأكيد القصر، والدلالة على أن ما بعده خبر لا صفة[4]

ولأنه إذا حذف هذا الضمير من الكلام المشتمل عليه فإن فائدة الحصر تظل كما هى، وإذا أعيد كان غرضه توكيد الدلالة على الحصر ومن ثم فهو يأتى فى مواضع يُحتاج معها إلى توكيد أكثر وتقرير مبالغ فيه.

---

(١) ينظر: دراسات فى علم المعانى صـ٦٥.

(٢) دلائل الإعجاز صـ١٧٨.

(٣) ينظر: الكشاف ١/٥٤- عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص ١/٣٨٧.

(٤) ينظر: بلاغة القصر صـ٢٥٤.

وعن تحقيق ضمير الفصل معنى القصر وتوكيد دلالته فى النفس فى أحـــاديث الجـــامع الصحيح للترمذىّ، فلقد ثبت لَدَىَّ من خلال استقراء أحاديث هذا الجامع قلة شواهد هذا النـــوع من القصر إذ تبلغ فى مجملها (اثنين وأربعين شاهداً) يحسن فى بعضها القول بأن فائدة ضمير الفصل هى بالأحرى تقوية معنى القصر والمبالغة فى تأكيد اختصاص المقصور عليه بـــالمعنى المراد إثباته له وذلك نحو قوله -ﷺ- :

"إِنَّ اللهَ هُوَ المُسَعِّرُ، القَابِضُ البَاسِطُ الرَّزَّاقُ، ....."(١)

ففائدة ضمير الفصل هنا هى تأكيد اختصـــاص الحـــق -ســـبحانه- بـــالمعنى المـــراد- التسعير- إذا أنه تعالى هو المدبر للأمور والمصرف لها حسب إرادته وحكمته دون أدنى ضرر يلحق بأحد.

وعن مقامات التوكيد بالقصر بضمير الفصل فى أحاديث الجامع الصحيح للترمذى وعـدد شواهده فى كل مقام فكما يلى:

مقام الحديث عن العبادات: ورد التوكيد فيه بالقصر بضمير الفصل (أربع عشرة مـــرة) ومن ذلك قوله -ﷺ-: "الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ...."(٢)

وفى مقام الحديث عن العادات ورد التوكيد بالقصر بضمير الفصل (ستًا وعشرين مـــرة) ومن ذلك قوله -ﷺ-: "المُخْتَلِعَاتُ هُنَّ المُنَافِقَاتُ"(٣)

وفى مقام الحديث عن الغيبات: ورد التوكيد بالقصر بضمير الفصل (مرتين فقط) و هما قوله -ﷺ-:"... فَاللهُ هُوَ المَلِكُ...."(٤)

وقوله -ﷺ- عما يَحدث من اختطاف الشياطين السمع، وإبلاغه أولياءهم:

".... فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ....."(٥)

---

(١) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب البيوع، باب ما جاء فى التسعير، رقم ١٣١٤.

(٢) السابق، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة، رقم ٢٩٦٩

(٣) السابق، كتاب الطلاق واللعان، باب ما جاء فى المختلعات، رقم ١١٨٦.

(٤) السابق، كتاب الأمثال، باب ما جاء فى مثل الله لعباده، رقم ٢٨٦٠.

(٥) السابق، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة سبأ، رقم ٣٢٢٤.

فضمير الفصل يقصد إليه بغرض تقرير المعانى وتوكيدها إذ أن دلالته على القصر ليست على سبيل الوجوب، وهو "أضعف طرق القصر دلالة على التخصيص إذ قد ينتزع منه فائدة القصر الاسم الذى بعده وهو الخبر المقترن بأل[1] ولعل ذلك مما يفسر كثرة التعبير به فى مقام الحديث عن العادات كما وضح من الإحصاء السابق إذ أن حاجة الحديث فى هذا المقام إلى ما يفيد التوكيد أكثر من حاجته إلى ما يفيد القصر والاختصاص.

ثالثاً· الإيضاح بعد الإبهام:

أسلوب الإيضاح بعد الإبهام من أعظم وسائل تقرير المعنى وتوكيده فى النفس وذلك لظفر السامع به حينئذ بعد شوق إلى معرفته،وتطلع إليه لوروده إليه أولا فى صورة مبهمة يحصل له بسببها ألمٌ من حرمان العلم به سرعان ما يزول ويُبَدَّلُ بلذة العلم به حال إيضاحه، وهذه اللذة وذاك الألم مما يقوى ارتباط السامع بالمعنى المراد ويمكنه فى ذهنه.

وعدد التوكيد بأسلوب الإيضاح بعد الإبهام فى جامع الترمذى يقدر بـ (خمسة وستين شاهداً) موزعة حسب مقتضيات الأحوال ودواعيها على مقامات الحديث الشريف كما يلى:

خمسة وعشرون شاهداً فى مقام الحديث عن العبادات، ومن ذلك قوله -ﷺ-:

"إِنَّ اللهَ أَمَدَّكُمْ بِصَلَاةٍ هِيَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ: الوِتْرُ..."[2]

وثلاثون شاهداً فى مقام الحديث عن العادات، ومن ذلك قوله -ﷺ-:

"أَنَا أَوْلَى بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِم: فَمَنْ تُوُفِّيَ مِنَ المُسْلِمِينَ فَتَرَكَ دَيْنَاً عَلَيَّ قَضَاؤُهُ."[3]

وعشرة شواهد فى مقام الحديث عن الغيب، ومن ذلك قوله -ﷺ-:

"يَدْخُلُ فُقَرَاءُ المُسْلِمِينَ الجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِم بِنِصْفِ يَوْمٍ: وَهُوَ خَمْسُ مِائَةِ عَامٍ"[4]

فأسلوب الإيضاح بعد الإبهام اشتُهر القصد إليه فى حال التعليم والإرشاد وهما مرادان بطبيعة الحال حين حديثه -ﷺ- ومن ثم اعتُمد وسيلة للتقرير لبلوغ المعنى به غاية التوكيد والتمكين فى ذهن السامع.

---

(١) ينظر: بلاغة القصر صـ ٣٥٤، ٣٥٦.

(٢) ينظر: صـ٤ من البحث

(٣) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الجنائز، باب ما جاء فى الصلاة على المديون، رقم ١٠٧٠.

(٤) السابق ، كتاب الزهد، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، رقم ٢٣٥٤.

ومن التوضيح بعد الإبهام ما يسمى بالتوشيع وهو فى اللغة جمع القطن المندوف،

وفى الاصطلاح: أن يُؤتى فى عجز الكلام بمُثنى مُفسَّر باسمين ثانيهما معطوف على الآخر[1] وذلك نحو قوله -ﷺ- "الخَمْرُ مِنْ هَاتَيْنِ الشَّجَرَتَيْنِ: النَّخْلَةُ، وَالعِنَبُ"[2]

ولقد ذهب بعض المتأخرين من علماء البلاغة إلى أن التقييد بالتثنية فى تعريف التوشيع لدى المتقدمين غير لازم، وأن إدخال الجمع واعتباره لا يضر بفن التوشيع بل يزيد من قيمته البلاغية ويُثرى شواهده[3].

ومن ثم يتسع باب التوشيع ويدخل فيه المُثنىَّ والجمع فى أول الكلام، أو فى وسطه، أو فى آخره.

وشواهد التوشيع غير المُقيَّد بالمُثنىَّ فى أحاديث النبى -ﷺ- فى جامع الترمذى من الكثرة والتنوع بمكان، وذلك نحوقوله -ﷺ-:

"يَا عَلِيُّ ثَلَاثٌ لَا تُؤَخِّرْهَا: الصَّلَاةُ إِذَا آنَتْ، وَالجَنَازَةُ إِذَا حَضَرَتْ، وَالأَيِّمُ إِذَا وَجَدْتَ لَهَا كُفْئًا"[4].

و قوله -ﷺ-:

"بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا: هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا، أَوْ غِنًى مُطْغِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا، أَوَ هَرَمًا مُفَنِّدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَوْ الدَّجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوْ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ"[5]

---

(١) الإيضاح ١٩٩/٣.

(٢) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الأشربة، باب ما جاء فى الحبوب التى يتخذ منها الخمر، رقم ١٨٧٥.

(٣) ينظر: مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص ٢١٦/٣ -عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص ٢١٦/٣- الأطول، للعصام، ت/ عبد الحميد هنداوى، ٨٥/٢، ط١، ١٤٢٢،/ ٢٠٠١م.، البلاغة الغنية، د/ على الجندى، صـ١٢٤، ط٢ مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٦م. الحديث النبوى الشريف من الوجهة البلاغية، صـ٤٠٤.

(٤) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الصلاة، باب ما جاء فى الوقت الأول من الفضل، رقم ١٧١.

(٥) السابق، كتاب الزهد، باب ما جاء فى المبادرة بالعمل، رقم ٢٣٠٦.

وعلى كل حال: فالأعداد التى ذُكرت على سبيل الإجمال ثم عُقِّبت بما يفسرها على سبيل التفصيل فى أحاديث الجامع الصحيح للترمذى هى (اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة، عشرة، اثنى عشر، خمسة عشر، تسعة وتسعون) وشواهدها فى هذا الجامع تبلغ (أربعة وتسعين شاهداً) أكثرها وروداً واستعمالاً هو العدد (ثلاثة) وكلها تندرج تحت فن التوشيع ويصدق عليها اسمه.

ولعل كثرة هذه الصورة من الإيضاح بعد الإبهام التوشيع على سبيل فى جامع الترمذى ترجع إلى حرصه- ﷺ- على تيسير حفظ السُنة المطهرة والمبالغة فى تمكينها فى نفس السامع إذ التوشيع يُمهد لذلك ويُيسره عن طريق ذكر المعنى المراد فى صورة عدد مبهم يثير فى النفس الشوق إلى إيضاحه يَعقُبه المعدود مُفسِّراً هذا الإبهام ومؤكداً المراد، فيقارن السامع العدد التفصيلى مع العدد المجمل فيتمكن فى نفسه ولا ينساه وهذا مما يناسب مقام التعليم والإرشاد الذى من أجله بُعث النبى -ﷺ-.

ومقامات التوكيد بأسلوب التوشيع تختلف وتختلف أعداد التوكيد به فى كل مقام حسب مقتضيات الأحوال ودواعيها إذ المرجع فى اختلاف الأساليب وتنوعها هو مقتضى الحال والداعى ولا خلاف فى ذلك .

فنجد أن مقام الحديث عن العبادات أُكد فيه المعنى المراد بأسلوب التوشيع (عشرين مرة) ومن ذلك قوله -ﷺ-."ثَلاثٌ لا يُفطِرْنَ الصَّائِمَ: الحِجَامَةُ، وَالقَيءُ، وَالاحْتِلامُ"(١).

وفى مقام الحديث عن العادات ورد التوكيد بأسلوب التوشيع (اثنتين وأربعين مرة) ومن ذلك قوله -ﷺ-:"أَرْبَعٌ مِنْ سُنَنِ المُرْسَلِينَ: الحَيَاءُ، وَالتَّعَطُّرُ، وَالسِّوَاكُ، وَالنِّكَاحُ"(٢)

وفى مقام الحديث عن الغيب ورد التوكيد بأسلوب التوشيع (اثنتين وثلاثين مرة) ومن ذلك قوله- ﷺ-:"يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ ثَلاثَةَ أَصْنَافٍ: صِنْفاً مُشَاةً، وَصِنْفاً رُكْبَاناً، وَصِنْفاً عَلَى وُجُوهِهِمْ....." (٣).

---

(١) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الصوم، باب ما جاء فى الصائم يذرعه القئ، رقم ٧١٩.

(٢) السابق، كتاب النكاح، باب ما جاء فى فضل التزويج والحث عليه، رقم ١٠٨٠.

(٣) السابق، كتاب تفسير لقرآن، باب ومن سورة بنى إسرائيل، رقم ٣١٤٢.

وهكذا يعمل أسلوب التوشيع على تيسير حفظ النص النبوى ويُمكنه فى النفس فضل تمكن وذلك لإثارة العدد المجمل المذكور أولاً الشوق فى النفس لمعرفة تفصليه إذ أن لفظ العدد يختص بتميزه عن سائر الألفاظ المحيطة به لانشغال النفس به، وتفكرها فيه فإذا عُقِّب بتفصيله حصل المراد من تمكينه وبلوغه غاية التوثيق وهو مراد من ذكره والتعبير به.

ومن التوضيح بعد الإبهام المفيد توكيد المعنى المراد وتقريره فى النفس التعبير بـ (نِعْمَ، أو بِئْسَ) على القول بأن المخصوص بالمدح أو الذم مبتدأ خبره محذوف والجملة مستأنفة للتوضيح والبيان إذ أن ذكر المخصوص بالمدح أو الذم بعد فاعل (نعم أو بئس) الظاهر نحو (نعم الرجل أبو بكر، وبئس الرجل أبو لهب) هو الغالب[1]. ووجه التوكيد حينئذ أنه لما كان (نعم، وبئس) للمدح العام أو الذم العام سلكوا بهما طريقى الإجمال والتفصيل لقصد مزيد التقرير والتوكيد فجاءوا بعد الفعل بما يدل على المخصوص بالمدح أو الذم حتى يتوجه المدح أو الذم إلى المخصوص به على سبيل الإجمال لكونه فرداً من الجنس ثم عقبوه بذكر المخصوص بعد ذلك حتى يتوجه المدح أو الذم إليه ثانيا على سبيل التفصيل ليحصل من تقوى الحكم ومزيد التقرير ما يُزيل الشك من النفس فى إرادة المعنى المقصود[2]

وأما فى حال القول بأن المخصوص بالمدح أو الذم مبتدأ قُدِّم خبره فلا يُعد من الإيضاح بعد الإبهام لعدم تحقق الإبهام فيه إذ التقدير فى نحو (نعم الرجل زيد) هو (زيد نعم الرجل) لأنه كلام واحد مُبيَّن غايته أن فيه تقديم المسند على المسند إليه،[3]، وأل فى فاعل نعم وبئس حينئذ- الرجل فى المثال المذكور- للعهد وليست للجنس [4]

وبالنظر فى بيان النبى -ﷺ- فى جامع الترمذى تبين لى حصر المستعمل من التعبير بـ "نعم" فى (خمسة عشر شاهداً) ومن ذلك قوله ﷺ-:

"نِعْمَ الرَّجُلُ أَبُو بَكْرٍ، نِعْمَ الرَّجُلُ، عُمَرُ، نِعْمَ الرَّجُلُ أَبُو عُبَيْدَةُ بْنُ الجَرَّاحِ"[5]

---

(١) ينظر: شرح التصريح على التوضيح. للشيخ خالد الأزهرى ٩٧/٢، طبعة دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابى الحلبى -القاهرة.

(٢) ينظر: شرح التصريح على التوضيح، ٩٧/٢.

(٣) ينظر: مواهب الفتاح، وعروس الأفراح ضمن شروح التلخيص ٢١٣/٣.

(٤) ينظر: الإيضاح ١٩٨/٤- بغية الإيضاح. عبد المتعال الصعيدى ١١٨/٢، طبعة مكتبة الآداب.

(٥) الجامع الصحيح للترمذى: كتاب المناقب، باب مناقب أبى عبيدة عامر بن الجراح -ﷺ-، رقم ٣٧٦٦.

وحصر المستعمل من التعبير بـ "بئس" فى (عشرة شواهد) تسعة منها يجمعها قوله -ﷺ-:

"بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ تَخَيَّلَ وَاخْتَالَ وَنَسِيَ الكَبِيرَ المُتَعَالَ، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ تَجَبَّرَ وَاعْتَدَى وَنَسِيَ الجَبَّارَ الأَعْلَى، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ سَهَا وَلَهَا وَنَسِيَ المَقَابِرَ وَالبِلَى، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ عَتَا وَطَغَى وَنَسِيَ المُبْتَدَا وَالمُنْتَهَى بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ يَخْتِلُ الدُّنْيَا بِالدِّينِ، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ يَخْتِلُ الدِّينَ بِالشُّبُهَاتِ، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ طَمَعٌ يَقُودُهُ، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ هَوىً يُضِلُّهُ، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ رَغَبٌ يُذِلُّهُ"(١)

والشاهد العاشر هو قوله- ﷺ- حينما سأل أبا هريرة عن رجل مارٍ فقال له فلان: فقال -ﷺ-:"بِئْسَ عَبْدُ اللهِ هَذَا"(٢)

وبعد: فمقام التعبير بـ(نعم وبئس) فى جامع الترمذى هو مقام الحديث عن العادات كما هو واضح من الشواهد السابق عرضها والتعبير بهذين الفعلين مناسب لهذا المقام إذ المدح أو الذم غالباً ما يكونان فى أمور العادات.

وإرادة التوكيد واضحة فى المستعمل من (نعم وبئس) فى جامع الترمذى، وذلك على القول بأن المخصوص بالمدح أو الذم مبتدأ خبره محذوف إذ أنه بذلك يكون قد ذُكر مرتين إحداهما على سبيل الإجمال والأخرى على سبيل التفصيل مما يؤكد ويقرر إرادة مدحه أو ذمه.

رابعاً: التكرير:

التكرير من الظواهر الجميلة والأصيلة فى البلاغة العربية وقد درسه البلاغيون والنقاد دراسة وافية لما أحسوا فيه من جمال الأسلوب وتأكيد الكلام وبلاغته(٣).

وقد غلط من أنكر كون التكرير من أساليب الفصاحة ظناً أنه لا فائدة له وليس كذلك بل هو من محاسنها لاسيما إذا تعلق بعضه ببعض وذلك أن عادة العرب فى خطاباتها إذا اهتمت بشئ إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه كررته توكيداً وكأنها تُقيم تكراره مقام المُقْسَم عليه(٤)

---

(١) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء من صفة أوانى الحوض، رقم ٢٤٤٨.

(٢) السابق، كتاب المناقب، باب مناقب خالد بن الوليد، رقم ٣٨٥٥.

(٣) ينظر البديع فى تذوق البديع، د/ عبد الحليم شادى، صـ١٠٤، مطبعة الشروق سنة ١٤٢٢هـ.

(٤) ينظر: البرهان ٣/٩.

وقد قيل: "الكلام إذا تكرر تقرر"[1] ومن ثم فالتقرير هو الغاية التى يقصد إليها النبى -ﷺ- بتكريره بعض الألفاظ أو الجمل فى مقامات تستدعى التكرير والإعادة، ولقد صرح بذلك الصحابى الجليل أنس بن مالك- ﷺ- حين قال: "كَانَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- يُعِيدُ الكَلِمَةَ ثَلاَثًا لِتُعْقَلَ عَنْهُ"[2]

والتكرير من سمات بيانه - ﷺ- فى الجامع الصحيح للترمذى، ذلك أن عدد شواهد التوكيد بتكرير ما يدل على المعنى المراد هو (مائتان وثمان وعشرون شاهداً) تختلف فيما بينها شكلاً وتتحد دلالة ومعنى ذلك أن المُكرَّر إما أن يكون جملة نحو قوله -ﷺ-:

"مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ"[3]

وإما أن يكون المُكرَّر كلمة وذلك نحو قوله -ﷺ-:

"غَفَرَ اللهُ لِرَجُلٍ كَانَ قَبْلَكُمْ، كَانَ سَهْلاً إِذَا بَاعَ، سَهْلاً إِذَا اشْتَرَى، سَهْلاً إِذَا اقْتَضَى"[4]

وإما أن يكون المُكرَّر حرفاً نحو (قد) فى قوله -ﷺ-:

"لَقَدْ أُخِفْتُ فِى اللهِ وَمَا يَخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِى اللهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَىَّ ثَلاَثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَالِى وَلِبِلاَلٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلاَّ شَىْءٌ يُوَارِيهِ إِبِطُ بِلاَلٍ"[5]

هذا: والنبى -ﷺ- لم يخص مقاما دون آخر من مقامات حديثه الشريف باعتماد التكرير وسيلة من وسائل إيصال المعنى المراد إلى السامع وتمكينه فى ذهنه، مع تنوع واختلاف المُكرَّر كما سبق أن أوضحت حسب حاجة المقام والداعى إليه .

---

(١) الإتقان ١٩٩/٣.

(٢) تيسير الوصول، لابن الربيع الزبيدى، ١٩٨/١، طبعة الحلبى سنة ١٣٥٣هـ.

(٣) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الديات، باب ما جاء فيمن قُتل دون ماله فهو شهيد، رقم ١٤٢١.

(٤) السابق، كتاب البيوع، باب ما جاء فى استقراض البعير أو الشئ من الحيوان أو السن، رقم ١٣٢٠.

(٥) السابق، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء فى صفة أوانى الحوض، رقم ٢٤٧٢.

ذلك أن مقام الحديث عن العبادات تبلغ شواهد التكرير فيه (خمسة وتسعين شاهدا) ومن ذلك قوله -ﷺ- مُكرِّراً جملة: "الحَجُّ عَرَفَاتٌ، الحَجُّ عَرَفَاتٌ، الحَجُّ عَرَفَاتٌ...."(١)

وقوله -ﷺ- مُكرِّراً كلمة وهى لفظ الجلالة:

"إِنَّ اللهَ أَمَدَّكُم بِصَلَاةٍ هِيَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ، الوِتْرُ جَعَلَهُ اللهُ لَكُمْ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ العِشَاءِ إِلَى أَنْ يَطْلُعَ الفَجْرُ"(٢)

وقوله -ﷺ- مُكرِّراً حرفاً (ألا):

"يَا عَمِّ، أَلَا أَصِلُكَ؟ أَلَا أَحْبُوكَ، أَلَا أَنْفَعُكَ...."(٣)

وأما مقام الحديث عن العادات فإن عدد شواهد التوكيد بالتكرير فيه هو (واحد وتسعون شاهداً) ومن ذلك قوله- ﷺ- مُكرِّراً جملة:

"أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ..... أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ"(٤)

وقوله -ﷺ- مُكرِّراً كلمة:

"إِنَّ اللهَ يُحِبُ سَمْحَ البَيْعِ، سَمْحَ الشِّرَاءِ، سَمْحَ القَضَاءِ"(٥)

وقوله -ﷺ- مُكرِّراً حرفا وهو (لا) حينما سُئِل عن امرأةٍ تُوفِىَ عنها زوجها وقد اشتكت عينيها أتُكَحل فقال: "لا" مرتين أو ثلاث كل ذلك يقول: "لا"(٦)

وأما فى مقام الحديث عن الغيبات فإن عدد شواهد التوكيد بالتكرير هو (اثنان وأربعون شاهداً) ومن ذلك قوله -ﷺ- مُكرِّراً كلمة:

---

(١) ينظر: صـ٧٤ من البحث.

(٢) ينظر: صـ٤٧ من البحث.

(٣) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الصلاة، باب ما جاء فى صلاة التسبيح، رقم ٤٨٢.

(٤) ينظر: صـ١٤٨ من البحث.

(٥) ينظر: صـ١٥٩ من البحث.

(٦) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الطلاق واللعان، باب ما جاء فى عدة المتوفى عنها زوجها، رقم ١١٩٧.

"كَانَ عَلَى مُوسَى يَوْمَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ كِسَاءُ صُوفٍ، وَجُبَّةُ صُوفٍ، وَكُمَّةُ صُوفٍ، وَسَرَاوِيلُ صُوفٍ....."[1]

وقوله -ﷺ- مكرراً حرفاً (إنّ):

"إِنّ غِلَظَ جِلْدِ الكَافِرِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعَاً، وَإِنَّ ضِرْسَهُ مِثْلُ أُحُدٍ، وَإِنّ مَجْلِسَهُ مِنّ جَهَنَّمَ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ"[2]

"فالتكرير أسلوب تعبيرى يصور انفعال النفس بمثير من أشباه ماسلف، واللفظ المُكـــرَّر فيه هو المفتاح الذى ينشر الضوء على الصورة لاتصاله الوثيق بالوجدان فالمتكلم إنما يكـــرر ما يثير اهتماماً عنده وهو يحب فى الوقت نفسه أن ينقله إلى نفوس مخاطبيه أو من هم فـــى حكم المخاطبين ممن يصل إليهم القول على بُعد الزمان والديار، فاللفظ المكرر- بوجه عـــام- مصدره الثورة وهدفه الإثارة حبا أو بغضا فى أى غرض من أغراض الكلام والتكرار مرتبـــط بقانون التردد من قوانين تداعى المعانى، ولذا يُعد وسيلة تربوية من سوائل التقرير"[3]

فنحن نجد فيما تقدم وغيره مما لا يتسع المقام لذكره بلوغ المعنى المراد درجة التوثيق والتمكين من خلال تكريره -ﷺ- جملة أو كلمة، أو حرفا مراعاة لمقام الحديث وحال المتلقى، مع مراعاة تلوين الأسلوب، والإبداع فى تصوير المعنى حتى لا يكون التكرير مبعث سأم وملل.

إذ التكرير كما وضح مما سبق بيانه إنما يُقصد إليه ويحسن فى الأمور المهمـــة التـــى يُخشى بتركه معها وقوع الغلط فيها، أو النسيان لها، أو الاستهانة بقدرها، وبحيث لو حُـــذف المُكرَّر يصبح التعبير مبتوراً ومن ثم فهو يزيد الأسلوب بهاء، والنظم رونقا وماء.

ومما يختص به التوكيد بأسلوب التكرير فى أحاديث الجامع الصحيح للترمذى كثرته فـــى مقامى الحديث عن العبادات والعادات مما يلائم حال هذين المقامين إذ التكرير يتفـــق وحـــال التعليم الذى هو سمة غالبة على هذين المقامين لكون المأمور به أو المنهى عنه فيهما أمـــوراً

---

(١) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب اللباس، باب ما جاء فى لبس الصوف، رقم ١٧٣٤.

(٢) السابق، كتاب صفة جهنم، باب ما جاء فى عظم أهل النار، رقم ٢٥٧٧.

(٣) التكرير بين المثير والتأثير، د/ عز الدين على السيد صـــ١٣٧، ١٢٣٨ ط١، نشـــر عـــالم الكتـــب، ودار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٣٩٨هـــ/١٩٧٨م.

جديدة فى حاجة إلى التكرير والإعادة مراعاة لحال المتلقى والمعول عليه فى ذلك هو قول الصحابى الجليل أنس بن مالك -رضي الله عنه- السابق:

"كَانَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- يُعِيدُ الكَلِمَةَ ثَلاَثاً لِتُعْقَلَ عَنْهُ"(١)

خامساً: التذييل:

التذييل ضرب من تقرير الكلام وتقويته يقصد إليه المتكلم تنبيها على أهمية الكلام السابق له إذ به يصير وكأنه أعاد ذكره مرة ثانية مما يقوى ارتباطه به ويُمكِّن دلالته فى نفسه.

وهو ضربان: الأول: ضرب جار مجرى المثل. وذلك حينما تكون الجملة الثانية مستقلة بمعناها ولا تتوقف فى إفادة هذا المعنى على الجملة الأولى بالإضافة إلى جريانها على الألسنة وفشوها فشو المثل السائر(٢)

وبالنظر فى بيانه -ﷺ- فى جامع الترمذى نجد أن من هذا النوع قوله ﷺ-:

"مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ المُؤَذِّنَ وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبّاً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَبِالإِسْلَامِ دِيناً غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ"(٣).

فقوله -ﷺ-: "رضيتُ بالله رباً وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً" يشتمل على مضمون ألفاظ الشهادتين مبالغة فى تمكُّن معنى التوحيد فى قلب القائل بذلك، فضلاً عن صحة استقلاله عما قبله، وكثرة جريانه على ألسنة الموحدين.

وأما الضرب الثانى: فهو مالا يجرى مجرى المثل ولا يستقل بمعناه عما قبله(٤) ومن هذا النوع فى جامع الترمذى قوله -ﷺ-:

"ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ...."(٥)

---

(١) ينظر: صـ٣٥٦ من البحث.

(٢) ينظر: الإيضاح ٣/٢٠٥- ٢٠٧ .

(٣) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الصلاة، باب ما جاء ما يقول الرجل إذا أذن المؤذن من الدعاء، رقم ٢١٠.

(٤) ينظر: الإيضاح ٣/٢٠٥، ٢٠٦.

(٥) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب البيوع، باب ما جاء فيمن حلف على سلعة كاذبا، رقم ١٢١١.

فإن قوله -ﷺ- " ولهم عذاب عظيم" تذييل يؤكد مضمون الكلام السابق لـه، لأن عـدم نظر الله -تعالى- إلى أحد من خلقه، وعدم تزكيته له يعنى استحقاقه عذابا لا يُدرِك قدره سوى الله -سبحانه- ومن ثم وُصف بقوله: "عظيم" تقريراً لتناهى شدته وإيلامه، ثم إن هذا القـول "ولهم عذاب عظيم" غير جار مجرى المثل .

هذا: وعدد شواهد التوكيد بالتذييل فى جامع الترمذى (ثمانية وثلاثون شاهداً) موزعـة حسب مقامات الحديث كما يلى: (ستة وعشرون شاهداً) فى مقام الحديث عن العبـادات ومـن ذلك قوله -ﷺ-:

"اللَّهُمَ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَمِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الأَرْبَعِ"(١)

و(أربعة شواهد) فى مقام الحديث عن العادات، ومن ذلك قوله -ﷺ-:

"... إِنَّمَا بُعِثْتُم مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ"(٢)

و (ثمانية شواهد) فى مقام الحديث عن الغيبيات، ومن ذلك قولـه -ﷺ- عـن رؤيـة المؤمنين ربهم -سبحانه- فى الآخرة:

"إِنَّكُمْ سَتُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّكُمْ فَتَرَوْنَهُ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِى رُؤْيَتِهِ...."(٣)

فكثرة التوكيد بالتذييل فى مقام الحديث عن العبادات كما هو واضح من الإحصاء السابق تُعد من خصائص التوكيد به فى جامع الترمذى، ولعل تلك الكثرة ترجع إلـى بلـوغ التذييـل بالمعنى المراد درجة عالية من التقرير والتمكين فى نفس السامع إذ يفيد ما يفيده تكرير الكلام وإعادته من المبالغة فى توثيقه، والنهاية فى التنبيه على إرادة المذكور أولاً بعينه، وهو مـا يتطلبه الحديث عن العبادات منعاً للخطأ أو النسيان أن يتسللا إلى نفـس المخـاطب بشـأنها، ومبالغة فى حفظ وتوثيق ماله صلة بعلاقة المسلم مع خالقه -سبحانه-.

---

(١) ينظر: صـ٨٧ من البحث.

(٢)الجامع الصحيح للترمذى ، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء فى رؤية الرب- تبارك وتعالى- رقم ٢٥٥١.

(٣)السابق ، كتاب الطهارة، باب ما جاء فى البول يُصيب الأرض، رقم ١٧٤.

المطلب الثاني

التوكيد في علم البيان

التصوير البياني من أمتع الألوان البلاغية وأكثرها تأثيراً وإقناعاً وقد جاء على أكمل تمامه، وأبهى أصباغه، وأورف ظلاله في البيان النبوي الشريف إذ يجد المتتبع للآثار النبوية صورها الفنية من أحسن المثل لما تنجذب إليه النفوس من القول نظراً لما فطر عليه النبي ﷺ من معرفة عناصر التأثير في البيان، وأوجه الجمال في اللسان ومن ثم جاء حديثه النبوي من البلاغة العالمية في موضع تتطلع نحوه الأبصار، وتتقاصر دونه الأعناق[1].

وتقرير المعاني في النفوس وتأكيدها في الأذهان من أعظم ما يدعو إلى تصويرها إذ يقوى ارتباط المرء بالمعنى الملقى عليه إذا أُفرغ في قالب تصويري لما تضفي عليه الصورة البيانية ــ المناسبة للمقام ــ من الوضوح والجلاء ما به يتمكن في النفس فضل تمكن حيث لا تطلب لتحقيقه مزيداً ولا تتطلع بعد سماعه من خلال تصويره إلى كلام يليه أو عبارات تُقوِّيه.

ومن خلال الدراسة لأحاديث النبي ﷺ في الجامع الصحيح للترمذي تبين لي أنه ﷺ قد أكثر من استعمال الصورة البيانية في مقامات متباينة بغرض التوكيد للمعنى المصوَّر بأيٍّ من أنواعها التي كثر التعبير بها بصورة تلفت النظر، وتسترعي الانتباه، وفيما يلي بيان ذلك :

أ) **التشبيه** :

"لا ريب أن التشبيه سمة من سمات اللغة العربية وخصيصة من خصائصها التي امتازت بها وعرفت من خلالها، فهو مطية ذلول امتطاها الأسلوب العربي وصولاً لأهدافه، وبلوغاً لمراميه، وهذا ما جعل المبرد يقول: إنه لو قال قائل إن أكثر كلام العرب لم يخرج عن التشبيه لم يبعد"[2]

ومن ثم شاع استعماله في أحاديث النبي ﷺ في جامع الترمذي لما يحققه تصوير المعاني عن طريقه من تقريبها من الأفهام، وتمكينها في النفوس.

---

(١) ينظر: البيان النبوي، ص ٢٢٩.

(٢) التشبيه وقيمته البلاغية، د / محمد محمود يوسف البهلول، ص٤، طبعة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. وقول المبرد منقول من كتابه الكامل في اللغة والأدب ٧٩/٢، طبعة دار المعارف، بيروت، ١٩٨٠م.

"فالبيان النبوي يضرب بسهم وافر في هذا الميدان ويتخذ من التصوير بهذه الوسيلة أداة فعالة للوصول إلى هدفه من شغل الحس الظاهر والباطن، وامتلاك النفس بكل ما فيها لأن هذه الوسيلة أقرب إليها، وهي بها آنس، ولها آمل، ولاسيما أن الرسالة التي جاء بها البيان النبوي تجديد للقيم، وتعديل للمفاهيم، وتعريف بأنماط من المعاني لا يسيغها العقل الدارج على ضدها إلا مأخوذا بقهر العاطفة وتأثر الوجدان"(١)

وشواهد التشبيه التي قُصد بها تقرير المعنى المراد وتوكيد دلالته في أحاديث الجامع الصحيح للترمذي تبلغ (ستة وثلاثين شاهدا) تتنوع مقاماتها وتختلف حسب مقتضيات الأحوال ودواعيها.

فنجد أن مقام الحديث عن العبادات ورد التوكيد فيه بأسلوب التشبيه (إحدى عشرة مرة) ومن ذلك قوله ﷺ :

"... الصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ ..."(٢)

فلقد شبه ﷺ الصوم في تحقيقه حماية المرء وحفظه من النار بحجزه عن فعل ما يؤدي به إليها بالترس أو الحاجب الذي يحجب مَن خلفه عن تجاوزه مع المبالغة في كمال تحقق هذا المعنى للصوم بتجريد المشبه به من الأداة حتى يُخيل للسامع أن المشبه هو نفس المشبه به، هذا فضلا عن تصوير الصوم وهو أمر معنوي بصورة محسوسة توكيدا لمعنى الحفظ من الذنوب المؤدية إلى النار لمن شأنه الصوم.

وأما في مقام الحديث عن العادات فقد ورد التوكيد عن طريق التشبيه (إحدى عشرة مرة أيضا) ومن ذلك قوله ﷺ :

"أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ" وَأَشَارَ بِأُصْبَعَيهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى(٣)

ففي هذا الحديث توكيد لفضل كفالة اليتيم بتقرير فضل القائم بذلك من خلال تشبيه مرافقته النبي ﷺ وقرب منزلته منه ﷺ بقرب ما بين السبابة والوسطى من أصابع اليد الواحدة مع المبالغة في تأكيد المشابهة بالإشارة الحسية بإصبعيه ﷺ .

---

(١) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، ص ١٤٣.

(٢) ينظر : ص٦١ من البحث.

(٣)ينظر : ص١٨٣ من البحث.

وأما في مقام الحديث عن الغيب ورد التوكيد بطريق التشبيه (أربع عشرة مرة) ومن ذلك قوله ﷺ :

"إِنَّكُمْ سَتُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّكُمْ فَتَرَوْنَهُ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ ..."[1]

فهذا الحديث يؤكد رؤية أهل الجنة ربهم ــ سبحانه ــ عن طريق تشبيه حصولها برؤية القمر ــ ولله المثل الأعلى ــ وهو أكمل وأبلغ ما يُشبه به في بيان وتأكيد الرؤية والوضوح.

فهل بعد هذا التصوير الدقيق والرائع فيما سبق من حاجة إلى توضيح المراد وتقريره؟ لقد نفذ المعنى المراد بتصويره المذكور عن طريق التشبيه إلى أعماق نفس السامع، وتغلغل في صدره، وانشرحت به نفسه إلى الفعل فيما يُدعى إلى فعله والترك فيما يُدعى إلى تركه نظرا لما يفيده التشبيه من (الإيضاح، والتقرير، والإيجاز، والتوكيد، والمبالغة مع الإقناع والإمتاع، وكشف الخبايا، وفهم المجهول، وإثارة الطاقات الإنسانية)[2].

وهناك نوع دقيق من التشبيه وهو ما يُسمى بـ "التمثيل" تباينت آراء البلاغيين في تحديد مفهومه وبيان ماهيته، وإيجاد الفرق بينه وبين التشبيه[3] وإن خالفهم في ذلك عالِمَان هما : الزمخشري، وابن الأثير، بجعلهما الاثنين ــ التشبيه والتمثيل ــ بمعنى واحد[4].

---

(١) ينظر: ص٦٦ من البحث.

(٢) ينظر: التشبيه وسماته البلاغية، ص ١١.

(٣) ينظر في التفريق بين التشبيه والتمثيل، أسرار البلاغة، ص ٩٠، وما بعدها ــ مفتاح العلوم ص ٣٤٦ ــ الإيضاح ٤/٩٠ ــ التشبيه والتمثيل بين الإمام عبد القاهر والخطيب، د / عبد العظيم المطعني، ص ٢٩، ٣٠، نشر مكتبة وهبة ط.١، ١٤٠٧هـ/١٩٧٨م، نظرات فى التمثيل البلاغى.د/ محمود السيد شيخون ص٤-١٢، مطبعة أسامة القاهرة، على أن ما سار عليه جمهور البلاغيين هو ما ذهب إليه الخطيب من أن التشبيه ما كان الوجه فيه مفردا سواء أكان حسيا أو عقليا، والتمثيل ما كان الوجه فيه مركبا منتزعا من أجزاء تضامت واجتمعت حتى أُخذ منها وجه الشبه وهذا التركيب إما حسي وإما عقلي، وهو لاشك حينئذ فى حاجة إلى تأمل ولطف فى فهمه.

(٤) ينظر: الكشاف في تفسير قوله ــ تعالى ــ : ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ﴾ (لقمان: من الآية١٩)، ٣/٤٨٣ ــ المثل السائر ١/٣٧٣ ــ البلاغة القرآنية في تفسير الكشاف، ص ٤٠٢.

والتمثيل الأدبي أرقى ما يعرف من صور البيان، وللقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف منه ما لا يتعلق بغباره متعلق[1]، فهو نهاية البلاغة وذلك على حد قول النظّام لما يجتمع فيه من إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية[2].

وفضلا عن ذلك فإن له أثراً بالغا في تعميق المعاني وتأثيرها في النفس، وما أحسن قول الإمام عبد القاهر في وصف أثره حين يقول: "واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرِضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أُبَّهَةً وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكَلَفاً، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا ..."[3]

واعتماد النبي ﷺ التصوير بطريق التمثيل وسيلة من وسائل توكيد المعنى وتقريره جاء في (أربعة وثلاثين شاهدا) موزعة حسب مقامات الحديث كما يلي :

في مقام الحديث عن العبادات ورد التوكيد بتصوير المعنى عن طريق التمثيل (اثنتى عشرة مرة) ومن ذلك قوله ﷺ :

"لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا تُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُوا خِمَاصاً وَتَرُوحُ بِطَانَاً"[4]

ففي هذا الحديث توكيد لأهمية التوكل على الله تعالى واعتماده منهج حياة للمسلم إذ يمثل فيه ﷺ حال من يتوكل على الله ــ تعالى ــ مع أخذه بالأسباب في تحقق مراده وفلاح سعيه، بحال الطير تسعى في طلب الرزق في ثقة بأن خالقها ــ سبحانه ــ قد قدَّر لها رزقها ومن ثم فهي تجتهد في طلبه، والوجه هو هيئة مطلوب يُنال بعد الأخذ بأسبابه الظاهرة (السعي) والباطنة (التوكل وصِدق الاعتقاد في قدرته ــ تعالى ــ) وأنه لم يخلق عباده ليضيعهم.

---

(١) ينظر: البيان النبوي، ص ٢٣٨.

(٢) ينظر: نهاية الأرب للنويري، ٢/٣، طبعة دار الكتب المصرية، ١٤١٢هـ/١٩٢٤م.

(٣) دلائل الإعجاز، ص ١١٥.

(٤) ينظر: ص٢٨ من البحث.

وفي مقام الحديث عن العادات ورد التوكيد بتصوير المعنى المراد عن طريق التمثيل (إحدى عشرة مرة) ومن ذلك قوله ﷺ :

"مَثَلُ الَّذِي يُعْطِي العَطِيَّةَ ثُمَّ يَرْجِعُ فِيهَا كَالْكَلْبِ أَكَلَ حَتَّى إِذَا شَبِعَ قَاءَ ثُمَّ عَادَ فَرَجَعَ فِي قَيْئِهِ"(١)

ففي هذا الحديث تقرير لقبح الرجوع فى الهبة وحث على عدم فعل ذلك من خلال تمثيل هيئة من يعود في هبته بهيئة الكلب الذي قاء ما هو زائد عن حاجته بعد شبعه ثم عاد يتناوله مع خبثه وتحوله إلى هيئة تعافها الأذواق ولا تكاد تتحمل رؤيتها الأنفس، والوجه هو هيئة مبذول أو خارج تُطلب عودته إلى محله ثانية مع تحوله عن حالته التي كان عليها إلى حالة أخرى لا يحل معها رجوعه وعودته.

وفي مقام الحديث عن الغيب ورد التوكيد بتصوير المعنى المراد عن طريق التمثيل (إحدى عشرة مرة) أيضا ومن ذلك قوله-ﷺ-في تصوير تتابع ظهور علامات الساعة عند حدوث أمور تُؤذِن بقرب القيامة ودنوّ الساعة :

"... فَلْيَرْتَقِبُوا عِنْدَ ذَلِكَ : رِيحاً حَمْرَاءَ، وَزِلْزَلَةً، وَخَسْفاً، وَمَسْخاً، وَقَذْفاً، وَآيَاتٍ تَتَابَعَ كَنِظَامٍ بَالٍ قُطِعَ سِلْكُهُ فَتَتَابَعَ"(٢).

فهذا الحديث يؤكد بما لا يدع مجالا للشك تتابع علامات قرب الساعة ودنو القيامة وتواليها واحدة تلو الأخرى من خلال تمثيل ذلك بعقد خَلِقٍ من جوهر وخرز قُطع خيطه فتتابع ما فيه من خرز في سرعة وانتظام، والوجه هو هيئة شيء مُكوَّن من أجزاء تندفع متتابعة عند البدء فيها وسقوط أو ظهور أولها.

فمن يتأمل هذه الشواهد السابق ذكرها يجد أن لتصوير معانيها عن طريق التمثيل أثراً بالغا في تأكيدها في النفس وتقريرها في الذهن مع توضيحها وانفعال النفس معها حال سماعها، وانجذابها نحوها أخذاً بما ترشد إليه.

---

(١) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الولاية والهبة، باب ما جاء في كراهية الرجوع في الهبة، رقم ٢١٣١.
(٢) السابق، كتاب الفتن، باب ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف، رقم ٢٢١١.

(فالتمثيل يضاعف من قوة الكلام في تحريك النفوس، وتوجيه القلوب، وامتلاك الأفئدة، والسيطرة على المشاعر، واستمالة الأسماع، واسترعاء الأبصار حتى كأن الكلام لا تتم فائدته إلا به ولا يأخذ سبيله إلى العقول إلا بعون منه)[١]

ولقد بدا من خلال التمثيل في الأحاديث السابقة اشتماله على التصوير بالأمور المتحققة التي يدركها عقل العربي (والأمور المتحققة تعمل على تقريب الفهم وسرعته إذ أنها أقرب في التحقيق، وأقرب إلى التيقن مما يكاد يقع)[٢]

وهكذا التعبير الأدبي الصائب يجمع إلى حقائق الإدراك خفايا الوجدان ومن ثم فهو أعظم تأثيرا في النفوس، وأبلغ في توكيد المعاني وتقريرها.

ب) الاستعارة :

أما عن اعتماد الاستعارة وسيلة أساسية من وسائل توكيد المعنى وتقريره فى أحاديث الجامع الصحيح للترمذي (فالواقع أن التشبيه وهو أساس الاستعارة يقرر المعنى بصورة قياسية وكلما تأكد بخصيصة من خصائص التقوية زاد المعنى تقريرا وكان أعمق تصويرا، فإذا انتقل عن الجمع بين الطرفين لفظا وتقديرا تناسياً للتشبيه وتأكيدا للاتحاد كان وسيلة أعلى في التشخيص والتجسيم ودخل بالفكر في مسابح أبعد)[٣] وحينئذ يسمى استعارة لبنائه على أساس تناسي التشبيه قضاء لحق المبالغة، وتقريرا لدعوى اتحاد المشبه والمشبه به[٤].

"والعرب حينما يلجأون في التعبير إلى طريقة غير الطريقة المألوفة فإنهم يريدون من وراء ذلك الإشارة إلى شيء لم تنهض به تلك الطريقة أي أنهم لم يتصرفوا تصرفا عابثا ولم يعدلوا عن طريق من غير فائدة"[٥] .

والنبي ﷺ أفصح العرب بيانا، وأعلمهم بدقائق اللغة وأسرارها ومن ثم فمن فوائد عدوله بالتعبير عن المعنى المراد إلى طريق الاستعارة "إثارة التشويق إلى تحصيل الكلام، وجذب الانتباه إلى المعنى المراد فضلا عن المبالغة فيه، والإيجاز في اللفظ، وتقرير الكلام وإثباته"[٦]

---

(١) ينظر: من أمثال القرآن الكريم، ص ٤.

(٢) ينظر: فن التشبيه، ٢/٦٦.

(٣) ينظر: الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، ص ١٧١.

(٤) ينظر: الإيضاح ٥/٥٥ ــ شروح التلخيص ٤/٦٧.

(٥) ينظر: التصوير البياني، د / محمد أبو موسى، ص ٣٤٦، ٣٤٧، ط.٤، مكتبة وهبة، ١٤١٨هـ.

(٦) ينظر: علم البيان دراسة تاريخية فنية، د / بدوي طبانة، ص ١٦٤، ١٦٥، ط. ٤، مكتبة الأنجلو.

فالمبالغة في تصوير المعنى أساس اختيار الاستعارة وسيلة للتعبير، لكونها تفيد شـــدة التأثير في نفوس السامعين، فهي بحق كما أُطلق عليها "غادة البيان العربي"[1] وما ذلك إلا لما تضفيه على المعنى من أوجه الحسن والروعة والقوة ما لا يتم له بدونها.

وتوكيد المعنى المراد عن طريق التصوير بالاستعارة في جامع الترمذي تبلغ شـــواهده (واحدا وثلاثين شاهدا) موزعة حسب مقامات ورودها كما يلي :

(ثمانية عشر شاهدا) أُكد بهم المعنى في مقام الحديث عن العبادات ومن ذلك قوله ﷺ :

"... وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ ... "[2]

ففي هذا الحديث تصوير للخطيئة بنار مشتعلة تحرق صاحبها علـــى ســـبيل الاســـتعارة المكنية مبالغة في تأكيد ضررها وحثا على الانتهاء عن مقارفتها وإن حدث ووقع المسلم فـــي شراك المعاصي والخطايا فهناك ما يخمد جذوة نارها، ويطفئ لهيبها وهو الصدقة حسب مـــا قرر ذلك الحديث الشريف.

وفي مقام الحديث عن العادات أُكد المعنى بتصويره عن طريق الاستعارة (ست مـــرات) ومن ذلك قوله ﷺ عن فساد ذات البين وضرر ذلك :

" ... فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ البَيْنِ هِيَ الحَالِقَةُ"[3]

« هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين »

ففي هذا الحديث مبالغة في تأكيد ضرر البغضاء وفساد ذات البين بتصوير إذهابها الدين بالموسي في إذهابه الشعر على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية في الفعل "تحلق" والتعبـــير بالحلق فيه من المبالغة في تقرير المراد ما يُرهب المسلم من البغضـــاء وفســـاد ذات البيـــن، ويحمله على تحسين علاقته مع غيره من إخوانه وبنائها على أساس الحب والود والتسامح.

وفي مقام الحديث عن الغيب أُكد المعنى المـــراد بتصويـــره عـــن طريـــق الاســـتعارة (سبع مرات) ومن ذلك قوله ﷺ :

"... وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ"[4]

---

(١) ينظر: الاستعارة، نشأتها، تطورها، أثرها في الأساليب العربية، د / محمود السـيد شـيخون، ص ١١٢، طبعة دار الطباعة المحمدية.

(٢) الجامع الصحيح للترمذي، كتاب الجمعة، باب ما ذكر في فضل الصلاة، رقم ٦١٤.

(٣) السابق، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في صفة أواني الحوض، رقم ٢٥٠٩.

(٤) ينظر: صـ٢٤٤ من البحث

ففي هذا الحديث يؤكد النبي ﷺ حقيقة مستقبلة وهي اتباع المسلمين غيرهم في آرائهم ومعتقداتهم وأفعالهم، ومن ثم استلزم الإعلام بذلك توثيقا زائدا نظرا للتغاير التام بين واقع المتلقي الأول لهذا الخبر والحال المخبَر عنها، وكذا إلزاما للنفوس بالتصديق والإقرار بتصوير المعنى المراد تصويرا مجازيا يبلغ به أعلى درجات التوثيق وذلك عن طريق الاستعارة المكنية في قوله "لتركبن سنة من كان قبلكم" حيث شبه ﷺ السُنة الدالة على الأفعال والأقوال الواقع فيها الاتباع بدابة مركوبة مع تمكن راكبها من ظهرها، بجامع الوصول بالمركوب إلى تحقيق ما ينشده الراكب مما يعكس لنا بوضوح ما عليه القوم الذين فُتنوا ويُفتنون بآراء الغرب ومعتقدات غيرهم، وحرصهم الشديد على أن يسيروا حسب ما ترشد إليه وإن أدى بهم ذلك إلى المخالفة الصريحة لما هو ثابت بالكتاب والسُنة المطهرة، ومن ثم فللتصوير المجازي دور بارز في التخييل والتجسيد للحالة المخبَر عنها تأكيدا وتقريرا لها.

وهكذا أدت الاستعارة في بيانه ﷺ دورا منوطا بها حيث حققت معنى ما صُوِّر بها في إيجاز يزين العبارة ويكسبها قوة ورصانة، كما يلاحظ أن استعارات النبي ﷺ جاءت نابعة من بيئته التي يعيش فيها، ومن الواقع المحيط بالمتلقي الأول لخبره ﷺ ، كما لا تبعد في الفهم عن أي سامع وذلك أدعى لتمام استيعاب المعنى وإدراكه وما ينتج عنه من تقريره في النفس ورسوخه فيها.

هذا : والاستعارة المكنية شاع التصوير بها في أحاديث الجامع الصحيح للترمذي، إذ أن شواهدها تبلغ (اثنين وعشرين شاهدا) من مجموع شواهد الاستعارة السابق ذكره، وذلك لكونها تذهب بنفس السامع إلى عالم الخيال حيث رحابته وسعته، وإمكانية أن يحدث فيه مالا يمكن أن يحدث في عالم الواقع، "والخيال هو العامل الأساسي والدعامة الأولى التي يعتمد عليها الأديب"[1] فى التعبير عما يريده وتقريره فى نفس السامع.

(ج): **المجاز المرسل**:

"هو أسلوب تصويرى يفيد المعانى تقريرا ويزيدها تأكيدا فضلا عن الإيجاز، وإعطاء المضمون في ثوب خيالي ضاف شأن جميع المجازات"[2].

---

(١)اتجاهات النقد الأدبي، د/ منصور عبد الرحمن ، صـ ٤١٣، مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٧م .

(٢) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، صـ ١٩٥.

وعن ورود التعبير به في أحاديث الجامع الصحيح للترمذى بغرض التوكيد وتقرير المعانى، والمبالغة في تحقق مرادها فشواهد ذلك تبلغ (سبعة وأربعين شاهدا) موزعة حسب مقامات ورودها كما يلى:

(أربعة عشر شاهدا)في مقام الحديث عن العبادات، ومن ذلك قوله ـ ﷺ ـ :

"..... وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لا يَسْتَجِيبُ دَعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاهٍ" (١)

فمن أدب الدعاء التجرد من الشواغل والملهيات واستحضار عظمة الخالق ـ سبحانه ـ والإقبال عليه ومن ثم أكد ﷺ عدم استجابته ـ تعالى ـ دعاءً مِن صاحب قلب غافل لاه.

وفي تعبيره ـ ﷺ ـ بالقلب مع إرادة صاحبه مجاز مرسل علاقته الجزئية، وإيثار التعبير بالجزء هنا نظرا لاختصاصه بالمراد من جهة، ومن جهة أخري توكيد ضرورة حضوره وإقباله وتجرده من كل صارف له عن استحضار عظمة الله ـ تعالى ـ وقدرته على إجابة الدعاء.

وأما فى مقام الحديث عن العادات فقد ورد التوكيد بالمجاز المرسل (ستة وعشرين مرة) ومن ذلك قوله ـ ﷺ ـ حينما سُئِل : أى المسلمين أفضل فقال:

"مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ"(٢).

ففى هذا الحديث تأكيد لحرمة إيذاء المسلمين باللسان أو اليد بتخصيص الوصف بالأفضلية على مَن حاله كف أذاه عن المسلمين، ولقد عبر ﷺ عن الإيذاء المراد منعه باللسان واليد نظرا لكونهما آلتيه وأداتي حصوله وذلك على سبيل المجاز المرسل لعلاقة الآلية، مبالغة في تقرير اختصاص اللسان واليد بحصول الأذى المراد منعه والتحذير من التلبس به أو توجيهه إلى مسلم، وذلك لكون ظهوره منهما أتم وأشد وخاصة من اللسان!!

وأما فى مقام الحديث عن الغيب فقد ورد التوكيد بأسلوب المجاز المرسل (سبع مرات) ومن ذلك قوله ـ ﷺ ـ:-

"مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ بنِ عُبَيْدِ اللهِ"(٣).

---

(١) الجامع الصحيح للترمذى . كتاب الدعوات، باب ما جاء في جامع الدعوات عن النبي- ﷺ ـ رقم ٣٤٧٩.

(٢) السابق. كتاب صفة القيامة ، باب ما جاء في صفة أواني الحوض، رقم ٢٥٠٤.

(٣) السابق . كتاب المناقب، باب مناقب طلحة بن عُبيد الله، رقم ٣٧٤٨.

فهذا الحديث إخبار عن غيب مستقبل بالنسبة لزمن النطق به وذلك من دلائل نبوته ـ ﷺ ـ ذلك أن الشهيد لا يمشى على الأرض بل إن محله حينئذ عند ربه حيث التكريم والتنعيم ومن ثم فإطلاق لفظ "شهيد" على طلحة بن عبيد الله ـ ﷺ ـ وهو حى مجاز مرسل علاقته اعتبار ما سيكون، وفى ذلك مبالغة في تأكيد حصول الشهادة لهذا الصحابي الجليل ليتخيلها واقعة فعلا حالة الإخبار عن حصولها، وذلك مما يقرر خبره ـ ﷺ ـ ويُمكِّن له في النفس.

(فأسلوب المجاز المرسل من الأساليب التى جاءت في البيان النبوي ناصعة بارعة لا باقتسارها والتصنع لها وتقويم ثقافها، وتعديل أودها، وإنما بالفطرة المصطفاة، والطبع الموهوب، والتهيئة الإلهية[1].)

وهو من الأساليب التى تتطلب إعمال الفكر وصولا إلى المراد، ومن ثم يتمكن المعنى فى الذهن فضل تمكن، وتعظم فائدة السامع منه ، كما أنه يساهم فى تحقيق بلاغة التعبير وجماله وحسن وقعه فى النفوس.

ولقد تبين من الإحصاء السابق ذكره كثرة التوكيد بأسلوب المجاز المرسل في مقامى العادات والعبادات وذلك يرجع إلى أن التخييل المتحقق من التعبير بالمجاز يحسن في مثل هذين المقامين وتعظم الحاجة إليه فى حال التزغيب أو الترهيب بخلاف مقام الغيبيات لحاجة الحديث فيه إلي ارتكازه على الأساليب الحقيقية منعا لأدنى لبس، ومن ثم قلَّ وروده فيه.

(د): **الكناية**:

وأما عن اعتماد الكناية وسيلة رئيسة من وسائل تقرير المعاني وتوكيدها في أحاديث الجامع الصحيح للترمذي فذلك نظرا لما لها من دور بارز فى إثبات المعنى وتوكيد دلالته "فهى فى البلاغة ذات موقع عظيم تفيد الألفاظ جمالا ، وتكسب المعنى ديباجة وكمالا ، وتُحرك النفوس إلى عملها، وتدعو القلوب إلى فهمها" [2].

ولقد أطبق البلغاء على أن الكناية أبلغ من الإفصاح بالذكر، "والسبب فى أن كان للإثبات بها مزية لا تكون للتصريح أن كل عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه أن إثبات الصفة بإثبات دليلها وإيجابها بما هو شاهد فى وجودها آكد وأبلغ في الدعوى من أن تجئ إليها فتثبتها هكذا

---

(١) ينظر الحديث النبوى الشريف من الوجهة البلاغية ، ص ١٩٥.

(٢) الطراز ١/ ٢٠٣.

ساذجا غُفلا. وذلك أنك لا تدعى شاهد الصفة ودليها إلا والأمر ظاهر معروف، بحيث لا يُشك فيه ولا يُظن بالمخبر التجوز والغلط." (١).

وشواهد التصوير بالكناية التى قُصد بها توكيد المعنى المراد وتقرير دلالته في أحاديث الجامع الصحيح للترمذى تبلغ (ثلاثة وخمسين شاهدا) موزعة حسب مقامات ورودها كما يلى:

(أربعة وعشرون شاهدا)في مقام الحديث عن العبادات ومن ذلك قوله ـ ﷺ ـ:

" مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ إِلا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ..." (٢).

فلقد كنى ﷺ عن حسن القبول من الله ـ تعالى ـ لصدقة العبد ووقوعها من نفسه ـ عز وجل ـ موقع الرضا بأخذها باليمين (إذ أن تخصيص التلقي للصدقة باليمين بطريق الكناية يُراد به تثبيت المعاني المعقولة فى الأذهان، وتحقيقها فى النفوس تحقيق المحسوسات حتى لا يتشكك المرء في القبول كما لا يتشكك من عاين التلقي للشئ بيمينه) (٣).

وفى مقام الحديث عن العادات ورد التصوير بالكناية بغرض التوكيد (أربع عشرة مرة) ومن ذلك قوله ـ ﷺ ـ فى الحث على تزوج ذات الدين:

"..... فَعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ" (٤).

فلقد كنى ﷺ بقوله: "تربت يداك" عن اليسار والسعة المرجو حصولهما للباحث عن ذات الدين، الراغب في زواجها،

والتعبير الكنائي ـ هنا ـ يؤكد المعنى المراد ويقرره إذ أن ملاصقة اليد للتراب وهو مصدر كل خير دليل على غناها وعدم إعوازها، ويزيد إرادة هذا المعنى توكيدا ما هو معلوم من حال النبى ـ ﷺ ـ ورغبته فى حصول الخير لكل مسلم لا الدعاء عليه بالفقر والإعدام.

---

(١) دلائل الإعجاز صـ ٧٢ ـ وينظر: الإيضاح ١٧٨/٥، ١٧٩ ـ شروح التلخيص ٧٤/٤، وما بعدها.

(٢) ينظر: صـ٥١ من البحث.

(٣) ينظر: تحفه الأحوذى ٦٨/٣.

(٤) ينظر: صـ١٧٢ من البحث.

وأما فى مقام الحديث عن الغيبيات فقد ورد التصوير بالكناية بغرض توكيد المعنى وتقريره (خمس عشرة مرة) ومن ذلك قوله ـ ﷺ ـ:

"وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضُ المَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ"(١).

ففى هذا الحديث إخبار عن غيب مستقبلي يتعلق بأشراط الساعة وأماراتها الكبرى والتى منها نزول المسيح عيسى بن مريم ـ عليهما السلام ـ ولقد صور ـ ﷺ ـ بعض الأحداث المرتبط حصولها بوجود المسيح ـ عليه السلام ـ عن طريق الكناية تقريراً لها وتعظيما لشأنها فقال: "فيكسر الصليب" كناية عن إبطال النصرانية وإنهاء التدين بها، واختيار الكناية هنا وسيلة للتعبير لما تفيده من المبالغة في التأكيد للمعنى المراد إذ أن كسر الصليب ممن وُضِع من أجله واعتُقِد فيه لشخصه لَهو أبلغ وآكد في بيان انتهاء أمره وأمر الدين المرتبط به.

ولا يقتصر الأمر فى إبطال النصرانية على ذلك فحسب بل يتأكد بإخباره ـ ﷺ ـ عن قتل المسيح ـ عليه السلام ـ للخنزير كناية عملية عن تحريم اقتنائه وأكله.

كما يُخبر ـ ﷺ ـ عن وضع المسيح ـ عليه السلام ـ للجزية وإبطالها كناية عن وِحدة الدين حينئذ تمكينا لهذا المعنى فى نفس السامع وترسيخا له فى ذهنه، إذ أن ذكره جاء مصحوبا بالدليل المؤكِّد له من خلال الكناية المذكورة.

فبتأمل الأحاديث السابق عرضها نرى أن التعبير الكنائي قد زاد المعنى المراد تثبيتا وتحقيقا، ومَكَّن له فى النفوس بما يدفعها إلى الالتزام بما تُدعى إليه "نظرا لأن التعبير عن المعنى الكنائي بروادفه وتوابعه له من القوة والتأكيد ما ليس في التعبير عنه باللفظ الموضوع له، ذلك لأنه يُصبح كإبراز الدعوى بدليلها، وكإثبات الحجة ببينتها"(٢).

ومن ثم فلا عجب من اعتماد الكناية وسيلة رئيسة في تأكيد المعنى المراد وتمكينه في نفوس المخاطبين به نظراً لكونها آكد في الدلالة، وألطف في البيان، وأوجز فى التعبير، ومن ثم طرق النبي ـ ﷺ ـ بابها، وسلك سبيلها فى التعبير عن مراده وتأكيده وخاصة في مقام الحديث عن العبادات كما بدا من الإحصاء السابق ذكره، نظرا لتطلب الحديث في هذا المقام قوة في التوكيد حملا للسامع على التزام المراد لكونه من الأهمية بمكان.

---

(١)ينظر: صـ٢٤٧ من البحث.

(٢) علم البيان، دراسة تحليلية لمسائل البيان، د/ بسيونى عبد الفتاح فيود، صـ ٢٦٥.

المطلب الثالث

التوكيد في علم البديع

(البديع قيمة جمالية لا تخطئها الأذهان المرهفة، ولا يغفل عنها الوجدان الصادق فاللغة العربية تتميز بجمالها في غزارة المفردات، وإتقان في التراكيب، وزخرف في الشكل، وجمال في الموسيقى،

وللبديع دور كبير في التدقيق في اختيار الألفاظ، والتأنق في التراكيب واتساق جملها ومفرداتها وتمكنها في النفوس، وتقريرها فى الأذهان ومن ثم فهو ليس ترفا ولا خارجا عن دائرة البلاغة فالبلاغة تنتهي إليه فهو النهاية والخلاصة والغاية التي في خدمتها بقية العلوم)[1].

(والنبى ــ ﷺ ــ لا يغفل الجوانب الجمالية للألفاظ والتراكيب فجمَّل بيانه ــ ﷺ ــ بأنواع من البديع جاءت خادمة للمعنى مؤكدة له، مزينة للأسلوب معينة على فهمه وحفظه) [2].

ومن خلال الدراسة لأحاديث الجامع الصحيح للترمذى تبين لى تمثل فنون البديع فيه بنجوم لامعة وسط سماء صافية غير أن أعدادها ليست بالكثيرة، إذ أن أكثر فنونه ورودا فيه وهو الطباق تقدر شواهده التى يراد بها التقرير والتوكيد بـ (ثمانية وعشرين شاهدا) وما عداه فهو نازل عن هذا العدد، وفيما يلي عرض لشواهد من فنون البديع التى قُصد بها توكيد المعنى المراد وتمكين دلالته فى النفس.

(أ) **الطباق**:

ومنه قوله ــ ﷺ ــ :

"اللَّهُم اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا، وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا"[3].

---

(١) ينظر : مباحث فى وجوه تحسين الكلام ، د/ رفعت إسماعيل السوداني، صـ ٩ ، ١٠، ط١ مطبعة الأمانة . القاهرة ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م ــ البديع من المعاني والألفاظ ، د/ عبد العظيم المطعنى ، صـ ٥-٧ ، ط٢ ، المكتبة الفيصلية. مكة المكرمة ، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.

(٢) ينظر من بلاغة الدعاء النبوى ، د/عبد الرازق فضل، ص٩ مطبعة الشروق.

(٣) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الجنائز، باب ما يقول في الصلاة على الميت ، رقم ١٠٢٤.

فلقد أفادت المطابقة هنا المبالغة في توكيد شمول دعائه ـ ﷺ ـ ورغبته فى ألاَّ يُحرم منه أحد من المسلمين تقريرا لرحمته ـ ﷺ ـ وتعليما للأمة.

(ب)**المقابلة**:

ومنها قوله ـ ﷺ ـ:

"لَوْ أَنَّكُم كُنْتُم تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُم كَمَا تُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُوا خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا" (١).

ففى هذا الحديث تعمل المقابلة بين حالتين مختلفتين للطير ـ الجوع والخواء صباحا، والشبع والامتلاء رواحا ـ على تقرير قدرة الله ـ تعالى ـ وسعة رزقه، وتأكيد فضل التوكل والاعتماد عليه ـ سبحانه ـ مع الأخذ بأسباب إنجاح العمل والتي من أعظمها السعي مع صدق الاعتقاد في أن الله ـ تعالى ـ وحده المتكفل بأرزاق العباد والمدبر لشئونهم وأن شيئا لن يحدث في كونه بغير إرادته.

(ج): **الجناس**:

ومنه قوله ـ ﷺ ـ:

"الخَيْرُ مَعْقُودٌ فِى نَوَاصِى الخَيْلِ....."(٢).

فلقد أفادت المجانسة بين لفظى (الخير، والخيل) توكيد المبالغة فى تصور حصول الخير بسبب الخيل المُعدّة للجهاد فى سبيل الله ـ تعالى ـ حتى وكأنها تجسيد لمعنى الخير تأكيدا على فضلها، (وحثا على ارتباطها للجهاد في سبيل الله إذ أن الخيل التى أُعدت لذلك هى المخصوصة بالخير والبركة) (٣).

(د): **المشاكلة**:

ومنها قوله ـ ﷺ ـ:

"مَنْ صَلَّى عَلَىَّ صَلَاةً ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا" (٤).

---

(١) ينظر: ص٢٨ من البحث.

(٢) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الجهاد ، باب ما جاء فى فضل الخيل، رقم ١٦٩٤

(٣) ينظر: تحفة الأحوذى ٥/٨٠.

(٤) الجامع الصحيح للترمذي ، كتاب الصلاة ، باب ما جاء في فضل الصلاة علي النبي ـ ﷺ ـ رقم٤٨٥

ففى هذا الحديث تفيد المشاكلة بين صلاة الله ــ تعالى ــ على العبد المسلم، وصلاة العبد المسلم على رسوله ــ ﷺ ــ المبالغة في توكيد شرف الصلاة على النبي ــ ﷺ ــ وعِظم ثوابها، ذلك أنه لا أعظم من أن يُثاب المرء بسبب صلاته هذه التى لا تكلفه أدنى عناء بصلاة المولى ــ سبحانه ــ عليه بسببها عشرا، وصلاته ــ تعالى ــ رحمةً وعفو وإحسان.

(هـ) : **السجع**:

ومنه قوله ــ ﷺ ــ :

"مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ...."[1].

فلقد أفاد توافق الفاصلتين في الحديث الشريف تأكيد الحث على طيب الكسب وتحري الحلال رجاء القبول للصدقة وغيرها مما يُتقرب به إلي الله ــ تعالى ــ إذ أنه ــ سبحانه ــ وهو الغني عن عباده لا يقبل منهم إلا ما كان طيبا.

(و): **التقسيم**:

ومنه قوله ــ ﷺ ــ :

"مَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَلَهُ أَنْ يَقْتُلَ، أَوْ يَعْفُو، أَوْ يَأْخُذَ الدِّيَةَ"[2].

ففى هذا الحديث استيفاء لأحوال ولى المقتول وتأكيد على عدم صحة خروجها عن القتل، أو العفو، أو أخذ الدية، وذلك تقريرا لعدالة الإسلام، وحثا على عدم البغي ومجاوزة الحد في معاملة القاتل وأهله حرصا على ما فيه مصلحة الطرفين.

(ز): **المبالغة**:

ومنها قوله ــ ﷺ ــ:

"....وَالصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، الصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ...."[3].

---

(١) ينظر: صـ٥١ من البحث.

(٢) الجامع الصحيح للترمذي، كتاب الديات، باب ما جاء في حكم ولي القتيل في القصاص أو العفو، رقم ١٤٠٦

(٣) ينظر: صـ٦١ من البحث.

ففى تفضيل رائحة فم الصائم على رائحة المسك وهو أطبيب الطبيب مبالغة فـــي بيـــان فضل الصوم وتقرير رفعته وشرفه.

وبعد فواضح مما سبق أن فنون البديع لم تكن فى بيانه ــ ﷺ ــ لمجرد التزيين، فقـــد رأينا كيف تكون في خدمة المعنى، ويُهدف بها إلي توكيده وتقرير دلالته في النفس وذلك شأن البديع في كلام الفصحاء، "فالكلام متى تحقق فيه البديع فقد تحقق فيه كل البلاغة لأن البديع لا يُعتد به ما لم يتحقق شرطا المطابقة، ووضوح الدلالة"[1] وحصولهما فى بيانه ــ ﷺ ــ مـــن الظهور والكمال بمكان.

(١)البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، د/ جميل عبد المجيد، صـــ٣٢، طبعة الهيئة العامة للكتاب.

المطلب الرابع

وسائل التوكيد الفعلية

(للإشارات والحركات والأفعال دلالة عميقة في إيضاح المعاني وترسيخها فى النفس، والنبي ـ ﷺ ـ يتخذ من ذلك وسيلة هامة للتقرير والتوكيد والإيضاح مبالغة في حرصه على تعليم الأمة بشغل الحاسة مع العقل في لباقة تُحول التلميذ بكل ما فيه إلي المعلم الحريص على سيطرته فى درسه) [1].

وباستقراء أحاديث الجامع الصحيح للترمذى تبين لى أن شواهد هذا النوع من التوكيد تقدر بـ (ثلاثة وعشرين شاهدا) موزعة حسب مقامات الحديث الشريف كما يلى:

(شاهد واحد فقط)فى مقام الحديث عن العبادات، وهو قوله ـ ﷺ ـ عن خسارة مانع الزكاة ونجاة معطيها:

"هُمُ الأَخْسَرُونَ وَرَبِّ الكَعْبَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ، هُمُ الأَكْثَرُونَ إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا، وَهَكَذَا ،وَهَكَذَا" فَحَثَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ ...."[2].

ففى هذا الحديث يقرر النبي ـ ﷺ ـ خسارة مانع الزكاة المستأثر بما له، ثم يقرر نجاة المنفق في سبيل الله الذى يؤدي الحق الذي عليه فى ماله دون تقصير بل البذل شأنه والإكثار ديدنه، ويؤكد النبي ـ ﷺ ـ هذه الحقيقة بتصويره حال المعطِى تصويراً فعليا بحثوه بين يديه وعن يمينه وعن شماله تجسيداً لمعنى التعدد واختلاف أوجه الخير والبذل عنده تجسيداً تَعْلَقُ بسببه صورته فى ذهن السامع ويتصورها وكأنه يشاهدها أمامه.

وأما مقام الحديث عن العادات فيُعد أكثر مقامات الحديث الشريف التى اعتمد فيها النبي ـ ﷺ ـ هذا النوع من التوكيد فى جامع الترمذى، وذلك أن عدد شواهده فيه تقدر بـ (أربعة عشر شاهدا) ومنها قوله ـ ﷺ ـ في بيان كبائر الذنوب:

---

(١) ينظر: الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، صـ ٧٧.

(٢) الجامع الصحيح للترمذي، كتاب الزكاة، باب ما جاء عن رسول الله ـ ﷺ ـ فى منع الزكاة من التشديد، رقم ٦١٧.

"أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟" قالوا بلي يـا رسـول الله ، قـال: "الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ" وجلس وكان مُتَّكِئاً فقال: "وَشَهَادَةُ الزُّورِ أَوْ قَولُ الزُّورِ" ومـا زال يُكررها حتى قال الصحابة ليته سكت." (١).

فحركةَ النبي ـ ﷺ ـ وتغييره هيئة جلوسه أثناء الحديث عن عظائم الذنوب قبل الفـواغ منها تُوقع الرعب في قلب السامع وتُخيل له خطر المتحدَّث عنه حينئذ فضلا عن المبالغة فـي تأكيد شناعته وضرره إذ أن أعظم الذنوب وهو الشرك بالله ـ تعالى ـ لم يغير النبي ـ ﷺ ـ هيئته ولا لهجته حال الحديث عنه ومن ثم يقر في الذهن عِظم الذنب على شهادة الزور تبعـا لعِظم الضرر الحاصل بسببها.

وأما فى مقام الحديث عن الغيبيات فقد ورد توكيد المعنى المراد بوسائل التقرير الفعليـة (ثمانى مرات) ومن ذلك قوله ـ ﷺ ـ :

"هَا هُنَا أَرْضُ الفِتَنِ" وَأَشَارَ إِلَى المَشْرِقِ(٢).

فإشارته ـ ﷺ ـ بيده إلى المشرق حال التصريح بغيب مستقبلي وهو تعيين مكان الفتن والصراعات والمحن الموجبة لضعف الدين تؤكد تحديد المكان تأكيدا لا مزيد بعده إذ الإشـارة الحسية من أعظم ما يُقرر به المراد ويوضحه نظرا لتركز دلالتها فـي النفـس ، ورسـوخها فى الذهن.

فلقد تبين من استعماله ـ ﷺ ـ وسائل التقرير الفعلية من حركة موحية أثناء الحديـث، أو إشارة أو فعل، حرصه ـ ﷺ ـ على امتلاكه عقل السامع ، وشغله فكره بما يلقيـه عليـه رغبة في تمكنه في ذهنه مع المبالغة في ذلك، إذ يظل فعله ـ ﷺ ـ ماثلا أمام الأعين كلما جد لها موقف أو حدث مماثل لما صاحب الفعلُ حديثَ النبى ﷺ بخصوصه.

ولعل قلة ورود هذا النوع من التوكيد فى مقام حديثه ﷺ عن العبادات ترجع إلى اعتمـاد المسلمين فى أمور العبادات على معرفة كيفيتها وتفاصيل أدائها من خلال رؤيتـه ﷺ حـال فعلها، أو سؤال من رآه نظرا لحدوث عهدهم بها،

---

(١) ينظر: صـ١٥٥ من البحث.

(٢) الجامع الصحيح للترمذي ، كتاب الفتن ، باب ما جاء في النهي عن سب الرياح، رقم ٢٢٦٨.

وأما عن العادات وهى أكثر مقامات الحديث التى اعتمد فيها النبى ﷺ وسائل التقرير الفعلية فذلك يرجع إلى ارتباط العادة ـ غالبا ـ بمفهوم قديم، وكذا هوى النفس ورغباتها ومن ثم يحسن أن يصحب الحديث عنها ما يبلغ بمراده ﷺ درجة التوثيق فتكون الإشارة الحسية، أو الحركة اللافتة انتباه السامع أو الفعل .

المطلب الخامس

التوكيد بإيراد الدليل تصعيدا لدرجة التوثيق

"من الوسائل التى يتقرر بها الحكم إقامة الحجة، ووضع الدليل، والبيان النبوى حافل بهاذ النوع من التقرير يأخذ أدلته من النقل أو المنطق الفطرى والوجدانى الذى يملك النفس من قريب"(١).

وذلك لما لإيراد الدليل من دور بارز فى تعميق المعنى فى النفس وتهيئتها لقبوله والتسليم به إذ أنه فى تعقيب الكلام بما يدل عليه تصعيد لدرجة توثيقه، وتقرير دلالته فى النفس لكون الدليل بمنزلة الغاية التى ينبغى أن ينتفى عندها كل شك أو إنكار لما يُراد توكيده.

واستدلال النبى ﷺ بنصوص تؤكد صدق حديثه وتمكن له فى النفس فى الجامع الصحيح للترمذى مقصور شواهده على كتاب الله ــ تعالى ــ ولا اكد لكلامه ﷺ من تعقيبه بما يدل عليه من كلام الحق ــ سبحانه .

وتبلغ شواهد التوكيد بإيراد الدليل من كتاب الله ــ تعالى ــ فى جامع الترمذى (ستة وخمسين شاهدا) موزعة حسب مقامات الحديث الشريف كما يلى :

(ستة عشر شاهدا) فى مقام الحديث عن العبادات ومن ذلك قوله ﷺ :

"الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ" وقَرَأَ : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عِنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (٢).

فلقد قصر النبى ﷺ العبادة على الدعاء بطريق التعريف وفى توسط ضمير الفصل "هو" بين المبتدأ والخبر مبالغة فى تأكيد اشتمال الدعاء على معانى العبادة وتمثيله لها، (نظرا لكونه سبيلا لإظهار العجز والحاجة لله ــ تعالى ــ والاعتراف بأنه ــ سبحانه ــ قادر على الإجابة، كريم لا بخل له ولا فقر وهذه الأشياء هى العبادة، بل مخها) (٣).

---

(١) الحديث النبوى الشريف من الوجهة البلاغية ص ٢٤٣.

(٢) ينظر: صـ٨٥ من البحث.

(٣) ينظر : تحفة الأحوذى ٨/٣٣٧٥.

وتأكيدا على تحقق معنى المقصور (العبادة) للمقصور عليه (الدعـــاء) ومبالغـة فـى تقريره فى النفس أورد النبى ﷺ دليلا على صدق قوله من القرآن الكريم ليعقد به حاجزا بيـن المعنى المراد وبين أن يتطرق إلى نفوس السامعين فيه شك أو إنكار، وحتى يكـــون الإقـرار بصدقه سبيلهم ووجهتهم ومن ثم يجتهدون فى العمل بما يقتضيه.

وأما فى مقام الحديث عن العادات فتبلغ شواهد التوكيد بإيراد الدليل مـــن كتـاب الله ــ تعالى ــ (تسعة شواهد) ومن ذلك قوله ﷺ :

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَدَلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ إِشْرَاكاً بِاللهِ" ثُم قَـرَأَ : ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[1] .

ففى هذا الحديث يجد السامع أن مبالغة النبى ﷺ فى الترهيب من شهادة الزور قد بلغـت مبلغا عظيما حيث قرر ﷺ مما ثلثها الإشراك بالله ــ تعالى ــ فى الاثم، (ووجه المماثلة حينئـــذ أن الشرك كذب على الله ــ تعالى ــ بما لا يجوز، وشهادة الزور كذب على العبد بما لا يجـوز وكلاهما غير واقع فى الواقع)[2].

وحتى يقر مراده ﷺ فى النفوس ويرسخ فى الأذهان أتبع كلامه بما يدل عليه وهو قوله ــ عز وجل ــ ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج آية ٣٠] مبالغة فى التوكيد والتقرير .

وأما فى مقام الحديث عن الغيبيات فتبلغ شواهد التوكيد بإيراد الدليل من كتاب الله ــ تعـالى ــ (واحدا وثلاثين شاهدا) ومن ذلك قوله ﷺ بعد أن ذكر قصة نبى الله موسى عليه السلام مع بعض قومه الذين اتهموه بالعيب فى جلده نظرا لتحفظه الشديد وتستُّره من أن يُرى شئ منه استحياء :

"فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ [الأحزاب (٦٩)][3].

---

(١) الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الشهادات، باب ما جاء فى شهادة الزور ، رقم ٢٢٩٩.

(٢) ينظر: تحفة الأحوذى ٦/١٧٠.

(٣) ينظر: صـ١١٢ من البحث.

فيقرر ﷺ بذلك صدق ما أخبر به عن نبى الله موسى عليه السلام وما حدث لـــه مـــن أحـــداث عجيبة تؤكد براءته مما اتُهم به حيث ذكر فى سياق القصة من أساليب التوكيد وطرقه ما يؤكد صدقها ويقرر أحداثها، وفى ختامها أورد أعظم دليل على صدق قوله، وأبلغ موثِّـق لأحـداث قصته نظرا لكونها غيبا يسهل أن يتسلل الشك فى وقوعها إلى بعض النفوس فكانت تلك الآيـة الكريمة التى تحمل بين طياتها وقائع تلك القصة من خلال الإشارة الموجـزة الداعيـة إلـى تفصيل وتوضيح تكفل بهما البيان النبوى كما تبين .

فمما سبق يتضح لنا عدم اختصاص التوكيد بالدليل بمقام معين وروده فـى مقامـات البيان النبوى فى الجامع الصحيح للترمذى حسب الحاجة إليه تلك الحاجة التـى تعظُـم دوره وتجعله أساسا فى تحقيق مراد النبى ﷺ من إيصال المعنى إلى ذهن السامع وتمكينه فى نفسه، وإقناعه به حثا على العمل بما يستلزمه والسير فى الحياة حسب توجيهه.

ولعل كثرة ورود التوكيد بإيراد الدليل فى مقام الحديث عن الغيب ترجع إلى حاجة حديث الغيب إلى مبالغة فى التوكيد رجاء أن يحدث بسببها قناعة لدى السامع بصدق ما يُخـبَر بـه خاصة وأن أخبار الغيب ترتبط ــ غالبا ــ بغرابتها فضلا عن كونها مما خفى على المخـاطب علمه وغاب عنه خبره.

(وإن كان النبى ﷺ مُصدَّقا دون توثيق بالدليل إلا أنه يقصد ــ أيضا ــ بإيراده أدلة مـن القرآن الكريم على صدق كلامه أن يفتح للأمة باب النظر فى كتاب الله ــ عز وجل ــ ويعرفهم كيف ينتفعون بالدليل لِيُحكِّموا القرآن الكريم فى سلوكهم، ويجعلوه القياس لكل أعمالهم) [1].

والحمد لله أولا وآخرا

---

(١) ينظر: الحديث النبوى الشريف من الوجهة البلاغية ص ٢٤٣.